كهنة المعبد وخُدّامه

الإعلام الغربي والعربي



د. شهاب محمد مكي جمجوم

كهنــة المعبـد وخُدّامـه

الإعلام الغربي والعربي

د. شهاب جمجوم

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل النشر

زلزال الفوضى الخلاقة وتوابعه الارتدادية

أقف الآن على أعتاب إصدار كتابي هذا، وبينما كنت أستعد لدفعه إلى المطبعة ، تزلزلت الأرض تحت أقدامنا وبدأت آثار الزلزال المدمّر الذي بشَّرت به " كوندوليزا رايس " وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة في عهد "جورج بوش الابن" ويا لها من بشائر تلك التي أتحفتنا بها الإدارة الأمريكية السابقة واللاحقة.

إن الفوضى الخلاقة هو العنوان الرئيسي والثابت للسياسة الأمريكية في منطقتنا وكان مركز الزلزال في تونس ، وهي حكاية حاكتها الإدارة الأمريكية ببراعة ، إذ جعلت من تونس مركز الزلزال ، لكي تصرف الأنظار عن التوابع الارتدادية في مصر عمود الوطن العربي الفقري .

بدأت الحكاية بصنع أنظمة موالية للمشروع الأمريكي في المنطقة ، هذا المشروع الهادف إلى استمرار السيطرة على منابع النفط ، هذا النفط الذي يستكثره الأمريكان علينا ، ويرون أننا لا نستحقه فنحن أمة من البدو الرحل الذين لا حق لهم في السيطرة علي منابع النفط ، والغرب أحق بهذا النفط من وجهة نظره ، فضلاً عن استمرار زرع الكيان الصهيوني في الوطن العربي ، وتهيئة المناخات اللازمة لضمان استمراره في المنطقة ضمن حلم توراتي ممزوج بمصالح اقتصادية ، لذا استمر صنع الأنظمة الضامنة لتحقيق هذين الشرطين وتجهزت آلة أمريكية ضخمة لمساعدة تلك الأنظمة على البقاء والاستمرار في تنفيذ المخطط الأمريكي في المنطقة ، ولكن ونتيجة استفراد الأنظمة بالقبض على مفاتيح الحكم ، تولدت طبقة فاسدة استفادت من خيرات الأوطان فجيّرتها لملء جيوبها والإثراء على مصالح الوطن بعيداً عن دفع عجلة النهوض والتحرر السياسي والاقتصادي. وبدأت مراكز الدراسات الأمريكية بضخ تقارير إلى إداراتها الحاكمة توضح حالة التذمر والغليان الذي يعيشه الشعب

العربي، وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية " C I A " تتابع حالة التوتر المتفاقم في المنطقة ، وخاصة في مصر، إذ إن للوكالة المذكورة أكبر مركز استخباري في مصر ، وصارت التقارير تتوالي عن عدم تحقيق النظام الحالي للشروط التي تسعي الإدارة الأمريكية إلى المحافظة عليها . وهي – نفاقا وليس حقيقة – مسألة حقوق الإنسان وحرية الرأي والتعبير ، وبدأت تنسج على منوال الاضطهاد والتعذيب والمسألة القبطية ، وما يلقاه الأقباط في مصر من اضطهاد وتمييز ديني وختمت مؤامراتها الكبرى بتفجير كنيسة القديسَيْن القبطية في الإسكندرية في مفتتح العام ٢٠١١ م لكي تهيئ الرأي العام إلي أن ثمة مشكلة حقيقة تعيشها مصر ولابد من معالجتها ، وأفضل طرق المعالجة الدوائية بحسب الدستور الطبي الأمريكي هو البتر، فكان عليها أن تبتر النظام الحاكم الذي تراه نظاماً احترقت ورقته إن صح التعبير ، واستبداله بنظام حاكم موال أكثر ومنبطح أكثر ، وأشد عماية وغواية ولا يشترط دائما أن تضع نظاما موالياً بل قد تضع نظاماً معادياً للمشروع الأمريكي في المنطقة كما في الحالة الإيرانية ، إذ إن إدارة كارتر أسقطت حكم الشاه مع ما يمثله ذلك الشاه من حماية للمصالح الأمريكية في المنطقة إذ إنه كان الشرطي الحارس للمصالح الأمريكية في منطقه الخليج ، ومع ذلك أرادت أمريكا أن تصنع غولا ، أو فزاعه فهيأت الأسباب لوصول الملالي إلى السلطة في إيران مستندين إلى دستورهم في الحكم القائم على ولاية الفقيه مع ما يمثله ذلك من غول أو بعبع للنظام العربي السني الأكثري السائد في المنطقة مما جعل المنطقة تغلي على فوهة بركان موشك على الثوران والهيجان، وخلقت بل أسست لمسألة الصراع السني – الشيعي وهي مسألة خامدة لم تكن تظهر علي سطح العلاقات بين السنة والشيعة ، فكان لها أن تحقق أكبر أهدافها وهي إضعاف كل القوى في منطقة الشرق الأوسط عن طريق خلق الفتن والقلاقل ، وأتيح لأمريكا بذلك أن تتفوق على أسلوب الاستعمار الجديد (الاستعمار الكولونيالي) إلى استعمار ذكي هو - استعمار "الريموت كونترول" ، إذ إنها تقود النزاعات وتؤججها عن بعد عن طريق تصارُع القوى والمصالح وخوف الأنظمة علي عروشها وكراسيها . ذلك احد وجوه المسالة، أما الوجه الأخر فهو يتمثل كما أسلفت قبل قليل بخلق نظام يخدم مصالحها بكل عماية وغواية ، فبدأت بتونس في

الوقت الذي كانت عين الإدارة الأمريكية على مصر ، فأرادت أن تبدأ دحرجة الدومينو من تونس ، وتونس لا ثقل لها ولا دور لها استراتيجيا في المنطقة، ومع ذلك خلقت التربة المناسبة في المغرب العربي لتقول إن تساقط الدومينو بدأ بتونس وأنا بوصفي إدارة أمريكية لم أسع إلى إسقاط نظام مبارك السابق في مصر بل انه سقط بحتمية تصدير ثورة الياسمين ، ثم بدأت تنشد موالها القبيح ، فصارت تحرك أركان إدارتها ، فتصريح من هيلاري كلينتون يشجب القمع الذي يمارسه نظام مبارك السابق، ثم تصريح من جون كيري السيناتور الديمقراطي رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس وفيه أن على مبارك الرحيل فورا ، فيما بدا أنه توزيع للأدوار بين عناصر القوى الفاعلة في الإدارة الأمريكية ، ثم ألقى الرئيس الأسود في البيت الأبيض كلمة استهجن فيها ضرب الشعب ، ثم أردفها بكلمة أخرى يدعو فيها الشعب المصري إلي الهدوء ، كل ذلك وفق إيقاع منظم ترعاه قناة الـ CNN و BBC الناطقة بالعربية ' فصرت عندما أسمع الـ CNN أو الـ BBC أخال نفسي أشاهد إحدى قنوات المعارضة المصرية لما في تلك القناتين من تحريض على التمرد والشغب مع أن المتابع لـ CNN الموجهة إلي الولايات المتحدة الأميركية يجد بوناً شاسعاً في الخطاب إذ أنهم يمسون المسألة مساً مختلفاً في أمريكا ، ويطنبون في الـ CNN الموجهة إلي منطقتنا ومرة استرعى انتباهي في أثناء إحدى زياراتي لأمريكا ما شاهدته على CNN هناك ووقتها كانت الحرب التي شنتها إسرائيل علي قطاع غزة المحاصر ، وكان ثمة تظاهرات حاشدة في أمريكا نظمتها الجاليات الإسلامية هناك ، ومع ذلك لم تقم الـ CNN بتغطية تظاهرات المسلمين وإنما أظهرت تظاهرات محدودة لأمريكيين غير مسلمين يعلنون استنكارهم الحرب على غزة .

والآن .. تسعى أمريكا إلى إظهار الأمر على أنه محض ثورة شعبية قادها المصريون ضد نظامهم الحاكم ، وأنه لا يد لأميركا في إيصال الأمر إلى ما وصل إليه من تأزم وتردٍ في الأوضاع ' وأن الشعب قام بثورته ونقلها إلى العالم عبر وسائل الاتصال الحديثة كالانترنت وغيرها ، وان أمريكا العادلة الطيبة المسالمة لا تملك سوى أن تبارك هذه الخطوات عن طريق تفعيل التويتر وحل كل موانع الإغلاق

التي مارستها السلطات المصرية ضد التويتر والانترنت وبذلك أمريكا تكون بريئة براءة الذئب من دم يوسف، والنتيجة أن النظام، نظام حسني مبارك قد سقط، وعلى أمريكا الآن التفاوض مع الجيش، خاصة بعد إسقاط عمر سليمان نائب الرئيس السابق، ثم إسقاط حكومة الفريق أحمد شفيق، والآن ثمة حكومة مكلفة بإدارة الملف.

إن اشّد ما يحزنني في ثورة الشباب الطاهرة هذه هو ذلك الاستخدام البشع وتعّمد ترسيخ توجهاتها النقية من أطراف شتى، أحاول قدر الإمكان تحديد مصادر الاستغلال. وهي: أمريكا أولاً ، وثانياً : المنظومة الحاكمة السابقة في مصر، ثم الثوار الطفيليون.

فأمريكا لا تعنيها أبداً أنات المظلومين في مصر ، ولا في تونس ، ولا في كوسوفو أو البوسنة ، إنما هي تسعى دائما في أن تُبقي عجلة مصالحها مستمرة حتى وان طحنت هذه العجلة الحكام والفقراء ، فالخديعة الكبرى التي تسعى الإدارات الأمريكية المتعاقبة إلى ترسيخها لم تعد تنطلي على العقلاء، فمسألة حقوق الإنسان هي آخر ما تفكر به الآلة الأمريكية، وآخر ما تسعى إلى إحقاقه وتنفيذه على أرض الشرق الأوسط وكلنا يذكر وجهة نظر البريطاني الاستعماري بالمرستون حين قال: "ليس لبريطانيا أصدقاء أبديون أو أعداء أبديون وإنما مصالحها فقط هي الأبدية" إذن أمريكا تنطلق من الوجهة الأبدية وتسعى نحو الوجهة الأبدية وهي مصالحها ، فمصالحها هي صديقتها الأبدية ، وبالتالي لا مكان للفلسفات الحالمة، والتعابير الوردية عن الديمقراطية وحقوق الإنسان.

كما أن علينا أن نذكر هنا أن أصل البلوى في كل الشرق الأوسط عموماً والوطن العربي خصوصا إن أصل البلوى هذا منشؤه أمريكا، ومصالح أمريكا من حيث السيطرة على منابع النفط وحماية الكيان الصهيوني ، وأن كل ما أفرز من تخلف وقمع وجهل سببه تكريس أنظمة عميلة تمارس تلك الآليات لإبقاء عجلة المصالح الأمريكية سائدة ، إلا أنَّ الإدارة الأمريكية تحاول أن ترقّع الفجور والفساد الذي يمارسه صنائعها الحكام، وتحاول مداراة ذلك بأنه يخدش براءة الغرب وأحاسيسه تجاه

حقوق الإنسان، وكل ذلك محاولات نفاقية مستترة خلف أقنعة باسمة في مسرح إغريقي .

فلذلك تعكف أمريكا الآن وحلفاؤها الغربيون على محاولة ترقيع وجه الاستبداد العربي وذلك من خلال سياسة الاستبدال في الاستبداد؛ فتزيح بيدقاً وتدفع بيدقاً نحو الرقعة ، ولهذه الإزاحة والدفع أصول وطرائق إجرائية سأتناولها الآن: بدأت بالحشد الإعلامي غير المسبوق المؤيد لفكرة إزاحة نظام مبارك، بحيث بدأ النظام المصري السابق عاريا حتى من ورقة التوت ، فسخرت القنوات الغربية كالـ CNN و الـ BBC العربية والقنوات ذات الأجندات الشيطانية كالجزيرة في مواكبة حدث السقوط وتصويره كما لو أنه بداية السعادة الأبدية والتحرر الناجز للشعوب المقهورة وكنت أتمنى أن يكون توجه تلك القنوات صادقا وأنها تسعي إلى إظهار الحقائق، ولكنها لا تريد ذلك فهي آلة حربية قاتلة أسهمت في إسقاط نظام مبارك وإحلال وجه مخالف لذلك النظام من حيث الشكل ومتطابق معه من حيث المضمون ، بحيث يستمر النزيف الاقتصادي والتحرري للأمة وبدا النظام المصري مترنحاً من توالي ضربات الوسائل الإعلامية - ماعدا قناة العربية لأسباب ليست خافية على الحصيف - غربية وعربية فلجأ النظام السابق إلى حجب البث فاتخذت الجزيرة منبراً لها عبر فضائيات أقل ما يقال فيها إنها فضائيات التابلويد، فيما بدا أنه إجهاض لمحاولة المنع والحجب التي سعى إليهما النظام المصري السابق، كذلك عمد النظام المصري السابق إلى حجب العمل بالشبكة العنكبوتية فما كان من شركة غوغل إلا أن ابتكرت شيئاً يجعل الحجب لا معنى له وذلك بإمكانية الاتصال بالهاتف عبر أرقام معينة تمكن المدون من إيصال الأخبار أولاً بأول.

وفي تلك الأثناء تتفرغ الإدارة الأمريكية للبحث عن البديل الذي ترقّع به وجه الاستبداد. عن طريق تلميع شخص جديد صنعته منذ صباه لهذه المرحلة وستدفع به إلى وسائل الأعلام ليتم تسويقه على أنه المهدي المنتظر الذي سيخلص مصر من الشرور، وسيملؤها عدلا وإنصافا بعد أن مُلِئَتْ ظلماً وجوراً.

آتي الآن إلى الحديث عن ثاني أطراف اللعبة وهو النظام المصري، النظام ليس حسني مبارك فحسب بل أحسب أن حسني مبارك هو من ضمن منظومة متكالبة فاسدة

فيها وجوه متعددة؛ وجوه آن أوان إبعادها ووجوه آن أوان استجلابها لتستمر السلسلة، فبدأت المنظومة المصرية تفرز وجوهاً جديدة تحاول الالتفاف على المكاسب العظيمة التي حققتها ثورة الشباب الأطهار. وللالتفاف وسائل عديدة تتقنها المنظومة المصرية، وذلك عبر سياسة الاستفراد بالأطراف، لأنه من الواضح والجلي أن لا قيادة واحدة متبلورة لهؤلاء الشباب الأطهار فصار في مقدور المنظومة أن تملي على المنتفضين مَنْ تراه يحقق مصالحها لا مصالح المنتفضين، بحجة أن هؤلاء الشباب يفتقدون الخبرة والميراث السياسي الطويل، وأنهم قطيع يحتاج إلى لجنة حكماء؛ وبذلك ندخل في ثالثة الأثافي أي الثوار الطفيليون الذين مهدت لهم آنفا إذ إنه يقال: "إن الثورة يخطط لها أذكياء، وينفذها شجعان، ويغتنمها دهاة" وبذلك أخشى أن تفرَّغ ثورة الشباب الأطهار من محتواها، وتصير كباقي الثورات الشريفة تتزعمها شخصيات طفيلية انتهازية تسعى إلى تحقيق مكاسب على حساب الدماء والآلام.

تلك الصورة كرستها أمريكا في الأيام القليلة الماضية، واليوم نحن نعيش أسوأ ما يمكن أن يعيشه عربي أو مسلم، فتونس شمعة في مهب الريح تبحث عمن يحافظ على شعلتها بعد أن أحياها زين العابدين بن علي في تجهيل الشعب وإسكات الإعلام، وليبيا لحظة كتابة هذه السطور بلغ عدد ضحاياها سبعة آلاف مدني، وأهل مصر يتقاتلون فيما بينهم وهو أمر لا سابقة له ، إذ لم يحدث أن تقاتل مدنيان مصريان ضد بعضهما ، والشارع المصري أمامه احتمالات مفتوحة على المجهول ، ومصر تركض باتجاه الهاوية مدفوعة بكل قوى الدفع الممكنة من أجل تحطيمها ، وعندما تنكسر مصر، ينكسر العمود الفقري للأمة فتصبح أمة مشلولة كشلل مفكري الأمة الآن العاجزين عن إيجاد حلول للأزمة فهم يراقبون من أبراجهم العاجية لا تجمعهم وحدة في الرؤية ولا يسعون إلى تلمس الحلول .

ولقد أكلت يوم أكل الثور الأبيض، والبقية تأتي.

شهاب

ربيع جدة ١٤٣٢ هـ

أبريل ٢٠١١ م

مدخــل

حرصنا أن تكون دراستنا إعلامية خالصة، ولابأس من أن نحيط بالجوانب التاريخية والسياسية المرتبطة بالموضوع، فبعد قراءة دقيقة ومتأنية لما يحدث حولنا، وملاحظة الظواهر الإعلامية، وخاصة ما يبث من خلال وسائل الإعلام العربية، مروراً بحوادث التاريخ، وما يظهر على القنوات الفضائية الآن من برامج سطحية لاهية؛ لتفريغ العقول من الجدية والالتزام، لم يعد مستغرباً أن يضيع الإنسان وسط أمواج فضائية متلاطمة من كل حدب وصوب.

وفي الحقيقة، إن الإنسان المستهدف من هذا الحصار الأخطبوطي الشرس هو إنسان المنطقة العربية على وجه الخصوص، فهو الذي ثُبت له برامج خاصة لتعمل جاهدة على تشكيل عقليته العربية والإسلامية.. وقد يظهر هذا الدور الإعلامي المهم في الانتشار غير المسبوق لوسائط الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لقدرتها على التغلغل بسهولة في النسيج الفكري والعقلي والوجداني للمجتمعات كافة دون استثناء.

لقد أصبح الإعلام بآلياته الحديثة ركناً مهماً وجوهرياً في حياة كل فرد؛ مهما كانت درجة معرفته وعلمه، والوظيفة الإعلامية بما تحمله من صدق أو تزييف، قادرة على تشكيل معرفة الإنسان ووعيه في كل مكان، قد لاحظنا في هذا السياق أن الإنسان العربي ما يزال في الغالب يقع ضحية جهله المطبق بـ «حقه» في المعرفة التي هي سباق العصر، عصر المعرفة، عصر الفعل لا القول، وقد أكد هذا د. أحمد زويل في أثناء زيارته للبنان في يوليو ٢٠٠٥ ليتسلم شهادة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية في بيروت، ولتوقيع كتابه الجديد «عصر العلم» عندما سأله رئيس الوزراء اللبناني آنذاك «نجيب ميقاتي»: «ما الفرق بيننا وبين الغرب؟» قال زويل: «مائة عام».

وهذا الإجابة تؤكد أن المستقبل مخيف، فهذه المئة عام الفاصلة بيننا وبين العصر الذي نعيشه؛ هي مئة عام مرعبة، إنها هوة سحيقة يبدو أن لا قاع لها، وهي

تأتي في وقت تتشكل فيه المنطقة بأيدي أعدائها والطامعين في ثرواتها، ونحن غافلون عن دورنا العربي الذي يشوه ويتحول إلى تاريخ بلا مستقبل، بينما تحتل إسرائيل وإيران أدواراً كانت ترسم لهم، ليقودوا المنطقة العربية بما خطط لهم، ليتقدموا إلى مراكز القيادة بآليات عصر المعرفة والتكنولوجيا والسباق النووي تحت مسميات مختلفة، مع بث الفتنة بين العرب، في وقت وهن فيه العرب وتراجع دورهم الإعلامي. بينما تسيطر على الإعلام الغربي الأيدي القذرة التي تعمل في المنطقة بحرية كاملة تحت مسميات خادعة منها الديمقراطية وامتلاك أدوات العلم والتكنولوجيا.

فالعالم المتقدم يمضي أسرع فأسرع، والفجوة بطبيعتها تزداد اتساعاً، ولكن المؤسف أن العالم العربي يكتفي بالمشاهدة والاستهلاك. ليبقى السؤال من أين نبدأ؟ وهذا هو الأهم لأنه من دون المعرفة نتحول إلى العجز الذي يطمس هويتنا حتى يأتي من يقتلعنا من جذورنا، فنتحول إلى ريشة تتلاعب بها الرياح شرقاً وغرباً، شمالاً، وجنوباً.

ويظل السؤال قائماً في ظل ثورة المعلومات واجتياح الفضائيات لحياتنا: ماذا نحن فاعلون؟ هل نقف مكتوفي الأيدي ونتحول إلى ساحة للتجارب والمشاهدة والاستهلاك، أم نشارك بما لدينا من رصيد حضاري قادر على فرض وجوده بحضارته الثرية بالمعرفة والعلوم والفنون والآداب..؟! في هذا «الاختيار» لا ينقصنا إلا التزود بآليات العصر والدخول بجدية في خضم المعرفة والتسابق المعرفي، مع وضع أموالنا فيما يفيد، ودفع عقول شبابنا إلى التسلح بأدوات التقدم والمعرفة.. لنحصل في النهاية على إعلام يقظ، له منهج مدروس يتحدث لغة العالم المتحضر. لأننا إن لم نفعل ذلك فسنفقد هويتنا الثقافية، وشخصيتنا الحضارية، ذلك أن «بيل غيتس» مؤسس مايكروسوفت، وإمبراطور الإلكترونيات في العالم قال: «إن من يسيطر على الصورة؛ يسيطر على العقول».

فنحن نسأل أنفسنا اليوم أيضاً ونحن نشاهد فضائيات من كل لون تبث التفاهات والسخف من أجل أن نلهو ونبعد عن تراثنا وحضارتنا، الأمر الذي يجعلنا نتساءل:

أين إعلامنا من قضايا العصر؟

سؤال يراودني ليل نهار وخاصة عندما أجد نفسي محاصراً بكثير من القضايا والبرامج التي يطرحها الإعلام الغربي، وهي عادة ما تكون قضايا بعيدة عن القيم والتراث العربي، بل وتستهدف زعزعة الأسرة العربية، وتقديم كل ما يفتن شبابنا ويبعده عن التقدم والتمسك بآليات المعرفة ليدخل سباق التكنولوجيا، وليس هذا فحسب إذ إن المحلّل والباحث «محمد يونس» العامل في مركز «جالوب للدراسات الإسلامية» بواشنطن أكد أن دراسة حديثة ظهرت في مارس/ آذار ٢٠١٠ أثبتت أن الإعلام الأمريكي ينقل معلومات مغلوطة ومشوهة عن المسلمين؛ ما يؤثر في أخذ انطباع سيءٍ عنهم...، وأن دراسة أخرى أثبتت أن أربع قنوات من أكبر القنوات الأمريكية تنقل موضوعات سلبية وغير محايدة عن الإسلام...» بينما نجد إعلامنا العربي في غيبوبة عمداً أو غير قادر على مجابهة تلك القضايا، أو محاربتها بأسلوبها العصري المتميز، ونستشهد هنا بمثال مهم على سبيل الذكر، فإن «جون بولتون» الإرهابي المتطرف العنصري كان سفيراً للولايات المتحدة في الأمم المتحدة وهو عدوها اللدود!! فهل كشف إعلامنا الستار عن شخصيته المتطرفة التي يدعمها الإعلام الغربي ويحسّن صورتها في وسائله المختلفة؟ فهو صهيوني قبل أن يكون أمريكياً، وكان وراء إلغاء قرار الأمم المتحدة عام ١٩٩١ الذي ينص على «مساواة الصهيونية بالعنصرية».. وقال إنه يعد القرار «أكبر وصمة عار على سمعة الأمم المتحدة»!!

بل وحمل حملة شعواء على «البرادعي» الذي فاز بجائزة نوبل في أكتوبر ٢٠٠٥م لمنع ترشيحه لولاية ثالثة على رأس الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهو الذي كان يردد:

«إن القانون الدولي لا شرعي» وذلك لأنه ضد المصالح الأمريكية الاستعمارية..»!!

والشواهد بعد هذا لا تعد ولا تحصى على إغفال جرائم إسرائيل وهي صاحبة الأيدي التي تخرب وتنفذ مخططات لا حصر لها ضد العرب. إن النبش في جرائم

إسرائيل؛ واجب إعلامي يجب متابعته يومياً، فأين الإعلام من حادثة «راشيل كوري» ذات الأربعة وعشرين ربيعاً، التي تركت نعومة الحياة في الولايات المتحدة لتدافع عن «السلام» وتحاول منع هدم بيت أسرة فلسطينية في قطاع غزة سنة ٢٠٠٣م، وقد سحقتها جرافة كاتربلر مصفحة..؟!

ومن قبل قتل داعية السلام البريطاني «توم هيرندل» برصاصة قناص إسرائيلي في رفح، مع أنه كان يرفع علماً أبيض!!

لقد أنشئت مؤسسة «توم هيرندل» للدفاع عن حقوق الفلسطينيين، وإحياء لذكرى البطل البريطاني الذي انتصر لهم، وهناك جمعيات وراء إحياء ذكرى «راشيل كوري» التي لن تهدأ حتى تنتزع حقها من القتلة. ولم تكن لإعلامنا يد لا في هذا ولا في ذاك!!

فلماذا لا يتحدث إعلامنا عن جماعات التكفير والإرهاب اليهودية؟ وقت أن تأكد للعالم أجمع أن الإرهاب الصهيوني أصيل، وله جذور ومعروف لدى العالم، ولكن إعلامنا هو الذي يبتعد عن الحقائق، ولا يكثف جهوده وأمواله في كشف الأباطيل وإزاحة الستار عن أكاذيب الصهيونية. فمن السهل على العالم العربي أن يفضح الفكر الصهيوني الإرهابي المستعمر من خلال زعمائه ورجاله وقد اعترف «شارون» رئيس وزراء إسرائيل الأسبق بالحقيقة المعروفة منذ حوالى قرن كامل، وهي امتزاج الفكر الصهيوني بالإرهاب. ففي تعليق له على العملية الإرهابية التي نفذها أحد المستوطنين اليهود ضد الفلسطينيين قرب مستوطنة «شيلو» الإسرائيلية في الضفة الغربية، دانَ «شارون» الهجوم باعتباره «إرهاباً يهودياً»!!

نعم تأخر هذا الاعتراف ما يربو عن نصف قرن، فمنذ الحرب العالمية الأولى والإرهاب هو وسيلة الصهيونية لتحقيق أطماعها الاستعمارية. ولكن تأكيده ومن شارون نفسه يبقى له معناه الأهم!.

لعل من أبرز الوثائق المهمة التي أكدت مفهوم الإرهاب الصهيوني هي تلك التي ظهرت في أكتوبر عام ١٩٩١ في أثناء انعقاد مؤتمر السلام في «مدريد» حيث فاجأ الوفد السوري العالم بعرض وثيقة تاريخية تعود إلى ما قبل قيام دولة إسرائيل،

ويطالب فيها «الانتربول الدولي» بإلقاء القبض على الإرهابي اليهودي الصهيوني «إسحق شامير» الذي كان يشارك في المؤتمر بوصفه رئيساً لوزراء إسرائيل. وتبلغ بهم الوقاحة مبلغاً أنهم يفرضون شروط اعتماد على من يتولى مناصب وزارية أو أمنية أو على مَنْ يترأس الأحزاب الصهيونية؛ بأن يكون لهم تاريخ دموي من ممارسات إرهابية أو تجسسية، وصلات وطيدة مع الأجهزة الأمنية الأمريكية والإسرائيلية، والمنظمات الصهيونية، وآخرها تعيين «إسحاق ليفانون» سفيراً للكيان الصهيوني الغاصب في مصر الكنانة، وإسحاق هذا هو ابن الجاسوسة الصهيونية في لبنان «شولا كوهين» المعروفة باسم : «لؤلؤة الموساد». ومع ذلك غاب إعلامنا العربي عن استثمار هذه الوثيقة، في كشف إسرائيل «الضحية في عيون الغرب» المحاطة بالعرب الإرهابيين كما تدعي.

ولكن نحن في الواقع أمام إعلام غربي مؤيد لإسرائيل؛ نجح في تصويرها على أنها ضحية للكراهية والإرهاب العربي وبعكس الواقع الإسرائيلي، الذي يؤكد منذ نشأة إسرائيل أنها صاحبة تاريخ إرهابي مفزع، باركه رجال الدين اليهودي وكبار رجال الدولة أيضاً.

فإسرائيل مُصنِّعة للإرهاب ومصدِّرة له، فالحاخام «عوفوديا يوسف» الزعيم الروحي لليهود الشرقيين في إسرائيل يرى أن العرب «مجرد ديدان ومخلوقات حقيرة، يجب التخلص منها بأي طريقة»، وقد زاد الإرهاب الإسرائيلي يوماً بعد يوم إلى أن شاهد العالم في ٢٥ من فبراير عام ١٩٩٤م طبيباً إسرائيلياً هو «باروخ جولد شتاين» يصل إلى الحرم الإبراهيمي فجراً حيث كان يصلي فيه قرابة ألف من المسلمين في إحدى ليالي مضانِ المبارك ليفتح النار من سلاحه الأتوماتيكي ويقتل ٢٩ شهيداً فلسطينياً ويصيب ٢٩ آخرين. بدلاً من أن يتهم بالإرهاب تحول القاتل الدموي إلى بطل قومي في إسرائيل، وأصبح قبره مزاراً لليهود المتطرفين. وآخر جرائم الإرهاب الصهيوني ما فعلته قوات الكوماندوس الصهيونية في ٣١ أيار/ مايو ٢٠١٠ من القرصنة على سفينة «مرمرة الزرقاء» التركية التي كانت تحمل نحو سبعمئة ناشط حرٍّ من أحرار العالم بهدف كسر الحصار الظالم على غزة، فهجمت تلك القوات

على السفينة وهي في المياه الدولية، ولم تصل بعد إلى المياه الإقليمية لفلسطين المحتلة فقتلت تسعة من الأحرار الأتراك وجرحت ما يزيد عن أربعين متضامناً.

والتقارير تؤكد أن الإرهاب الفردي الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، لم يتوقف على الإطلاق، بل إن المسكوت عنه من هذه الممارسات الإرهابية كان أخطر من تلك الحوادث التي تركزت عليها الأضواء وكأنها حوادث فردية معزولة. وهذا ما يحضُّ عليه حاخاماتهم ويدعون إليه، فإسرائيل شبيهة لوزير خارجيتها اليهودي الروسي المجنون «ليبرمان»، وحاخامها «مينز فردمان» الذي قال: «إن الطريق الوحيدة لحرب نزيهة على الطريقة اليهودية هي: تدمير مقدسات العرب، وقتل رجالهم ونسائهم وأطفالهم ومواشيهم؛ فإذا فعلت إسرائيل ذلك فإنها ستتجنب الخسائر، ولا تعرض أطفالها للخطر».

ولذلك نحن في حاجة إلى إعلام ينفض غبار النسيان المتراكم فوق الذاكرة الغربية، عن مجازر إسرائيل، ليستعيد من تحت الأنقاض الكثير من القصص الإجرامية في تاريخ الحركة الصهيونية.

«شارون» يعلن منذ البداية أن السلام مع العرب مات من غير رجعة، وخير دليل على ذلك صواريخ «شارون» التي كانت تصول وتجول في الأجواء العربية وفي الوقت نفسه كان يخادع العالم وهو ينسحب من غزة، ويطلب الحماية مدعياً انسحاباً كاذباً ليبتز العالم، ويحقق أكبر قدر ممكن من الفائدة ثمناً لانسحابه. بينما كانت القنوات الفضائية تصور خلفه لعبة الانسحاب في صور هيستيرية للانسحاب من غزة، وللمشاعر الفجة التي أبداها بعض المستوطنين اليهود في أثناء إخراجهم قسراً من المستعمرات، التي أقاموها في فلسطين. وهي تظهر مدى عنصرية الصهيونية، ومدى اعتناقهم لأفكار متطرفة. أقل ما توصف به أنها تمثل خطراً على الوجود العربي ذاته، لقد تصرفوا كأنها أرضهم، لذا يُعَدُّ رفضهم للسلام؛ هو السمة الأساسية لحياتهم وسياستهم.

ونتساءل أيضاً أين دور الإعلام العربي فيما حدث في العراق من مجازر ودمار وخراب، وإشعال للخلاف بين الكردي والعربي، والشيعي والسني، أفقد الشعب العراقي هوية تعايشه الوطني التي كانت مضرب الأمثال.

ولذا نقول أين أنتم أيها الأشقاء العرب من لعبة الأحلام الكاذبة (السلام!!).؟ يجب ألا نغمض أعيننا عما يدور حولنا، لأن النائب الأمريكي في الكونجرس «توم تانكريدو» حرّض علانية الولايات المتحدة الأمريكية، على إزالة الأماكن المقدسة للمسلمين من الخارطة في فلسطين ولايزال المخطط ينفذ حتى الآن بصور شتى!

ولم يتنبه أحد أو يعلق على ذلك الذي حدث بأسلوب يتناسب مع مفهوم الغرب في قنواتنا الفضائية، بأن نقول له إن تصرفه هذا أساء إلى قدسية الأديان الثلاثة جميعها حسب ظهورها: اليهودية والمسيحية والإسلام، إذ إنها كلها جاءت من معين إلهي واحد، وإن أي إساءة لواحدة منها هي إساءة لكل الأديان، بل وإساءة إلى رموزها من رسل الله (موسى وعيسى ومحمد) – صلوات الله عليهم – فالصورة واضحة أمام كل ذي عينين.

فالحوادث كثيرة وتجاهل الإدارة الأمريكية لقيمة الإنسان وقيمه مسجلة وموثقة، والنماذج لا حصر لها، بينما إعلامنا في غيبوبة.

وخير دليل على ذلك تجاهل الإدارة الأمريكية لأصوات جمعيات حقوق الإنسان الدولية وفي مقدمتها الأمريكية لإغلاق معتقل «جوانتانامو»، وبات واضحاً أن الرئيس الأسود في البيت الأبيض وأعني «باراك أوباما» لم يحد قيد أنملة عن السياسة الاستعمارية الأمريكية، ذلك أنه وعد في أثناء حملته الانتخابية بإغلاق معتقل غوانتانامو، وكانت أولى تصريحاته بعد تسلمه سدة البيت الأبيض أنه سيغلق معتقل الوصمة، ومع ذلك ورغم كل شيء ها قد مضى عامان على رئاسته ولم يغلقه، وأظنه لن يغلقه، وتبخرت آمال الحالمين بالموقف النبيل للرئيس الأسود بإغلاق المعتقل، والآن ونحن في نهاية عام ٢٠١٠ ما زالت إدارة أوباما تضرب بعرض الحائط مطالبات شخصيات أمريكية في مقدمتها الرئيس الأمريكي الأسبق «جيمي كارتر»،

وأعضاء ديمقراطيون يعدون المعتقل جرحاً دولياً بالغ الخطورة، ووصمة في جبين الولايات المتحدة.

مع ذلك تتمادى الإدارة الأمريكية في ظلمها بتوقيع عقد قيمته ٣٠ مليون دولار مع أحد أفرع مجموعة الخدمات النفطية «هالبرتون»؛ لبناء سجن جديد في قاعدة «جوانتانامو» في وقت يتزايد فيه السخط العالمي إثر تقرير نشرته مجلة «تايم» نفسها، حول الأساليب اللاأخلاقية التي انتهجها المحققون الأمريكيون لاستجواب أحد المتهمين السعوديين؛ ليظل المعتقل شاهداً على الممارسات الأمريكية الوحشية المثيرة للسخط، التي أفقدت الولايات المتحدة بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر الكثير من هيبتها، وفضحت كذب ادعاءاتها في أنها واحة للديمقراطية، وحقوق الإنسان، ومبادئ الشرعية الدولية.

أين إعلامنا وفضائياتنا من استمرار ردود الفعل الدولية الرافضة لممارسات الإدارة الأمريكية، وانتهاكاتها الصارخة، التي شهدها ذلك «المعسكر»؟ ومنها أزمة تدنيس المصحف الشريف التي أثارتها مجلة «نيوزويك» الأمريكية، التي صاحبتها حملة مضادة من داخل الإدارة الأمريكية تؤيد بقاء معتقل «جوانتانامو»، الذي كان ومايزال ينفق مليارات الدولارات على تسليحه أسلحة قتالية لتقتل الإنسان.

ومع كل هذه الحوادث والغطرسة الإمبريالية وما تستخدمه من الأيادي القذرة مازالت فضائياتنا العربية في هذه الآونة تحمل الرايات الأمريكية وتهتف تحتها، بما يستفز العقل ويثير الكثير من التساؤلات...

لماذا لم تنضج حتى الآن قنواتنا الفضائية؟!

لماذا ترغب في أن تكون حبيسة المراهقة؟ أو أن تعيش متطفلة على عقول الناس؟

هل هي كيانات جاءت من كواكب غريبة لتعلن عن نفسها بأنها غير جديرة بالمسؤولية، وجاحدة للعقل والاستنارة، وترغب في الانعزال عن العالم بصورة

هزيلة، بعيدة عن فكر العالم الذي يتقدم بسرعة فائقة، والذي لا يعترف إلا بالمعرفة والعلم.

معظم القنوات الفضائية حتى الجديد منها، التي مازالت تعلن عن نفسها، تتمسك بالسطحية، وتبث ما هو مثير للغرائز، سواء في ملابس المذيعات، أو في شكلهن وحركاتهن، أو فيما يُقدم من رقصات مشوهة، وموسيقى صاخبة، بالإضافة إلى سطحية البرامج الأخرى، فالكل سواء في السفه والسذاجة، إلى جانب التقليد الأعمى لبرامج لا تتناسب مع حضارتنا وثقافتنا، حيث رأينا في البرامج الحوارية تراشقاً متدني الألفاظ والمضمون، يفتقد لأهم عناصره ألا وهو الحوار الهادئ الهادف الذي يقرع الحجة بالحجة، ويتسلح بالمعرفة والعلم.

* * *

محطاتنا العربية في خبر كان، تبث وتنشر في غير وعي ولا إدراك منها، في الوقت الذي يعلم فيه الجميع أثر وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية، وفي التأثير في شخصية الطفل على وجه الخصوص، ولعل الجميع يذكرون المسلسل الكارتوني «أنجيلا أناكوندا» Angela anaconda الذي تضمنت إحدى حلقاته مصطلحاً يهودياً يدعى «الهاينوكا» أو «الحاينوخا» كما لفظته الجدة اليهودية، وهو عيد يهودي يُحتفل به لتخليد تطهير الهيكل، المزعوم، هيكل سليمان، الذي يزعم الصهاينة أنه موجود تحت المسجد الأقصى، ويحفرون تحت أساسات المسجد للكشف عن الهيكل وإعادة إحيائه بعد دماره مرتين، وكل ذلك أكاذيب وترهات تلمودية، إذ لا صحة لهذا الكلام، فيحتفلون بإشعال الشموع، وفيه ما فيه من المشاهد ما يؤذي الطفل المسلم العربي من عري، وأغان يهودية عنصرية ومضامين خفية تمس ثوابتنا. بينما أطفالنا يشاهدونه في بيوتنا بصورة تستهويهم، ألا وهي المغامرات المسلية التي تجذبهم لمتابعتها، وتجعل الشيء المستهجن الدخيل شيئاً عادياً، كمحاولة لفرض ثقافة العنصرية.

ومن أسوأ ما قرأته في مجلات الأطفال العربية، التي تدل على غياب الوعي ما قرأته في مجلة «ماجد» العدد رقم «١٣٠٦»ص ٦٦ حيث يقول طفلان أحدهما

للآخر: «نأكل لنكبر بسرعة.. حتى نشاهد الأغاني والأفلام التي يراها الكبار مثل أغاني نانسي عجرم، وأليسا».

إلى جانب هذا غناء ممزوج بسموم الصورة، يخاطب الغريزة، يسمى «فيديو كليب» ولكنه في الحقيقة فيديو عري، فيديو جنس. إنه حصار فضائي بحق يدخل كل البيوت طوال ٢٤ ساعة، يبث برامج تستهدف النيل من تماسك الأسرة العربية وخاصة المرأة العربية. فهو يعرض من خلالها مواد تستفز الرجل وتحاصره في رؤية جنسية مثيرة، مصحوبة بكم متدفق من الأغاني كأنه طوفان من الصور البذيئة التي لها تأثيرات مدمرة في الأسرة العربية، ويشرح الدكتور لطفي زغلول في بحثه: «الأغنية المصورة العربية: الفيديو كليب» في العرب نيوز ١٥ شباط/ فبراير ٢٠١٠ قائلاً: «وحقيقة الأمر أن تأثيرات مثل هذه الأغنيات المصورة العربية أو الأجنبية التي تعرضها فضائيات عربية على مدار اليوم والساعة؛ سالبة للغاية، وبخاصة في الفئات العمرية الفتية والشابة، وحتى تلك التي في سن الطفولة المبكرة، إن تأثيراتها مؤكدة في مجال غرس مفاهيم وقيم مادية جنسية، وإيجاد رموز على شاكلة هؤلاء المغنيات المتعريات العارضات أجسادهن، والمستبيحات لها كيما يكن هنَّ القدوة والمثال في المجتمعات العربية، وهذا لا يحمل إلا تفسيراً واحداً مفاده غزو ثقافي إنحلالي إباحي، هدفه تدمير ما تبقى من منظومة قيم ومثل ومفاهيم شريفة وأصيلة» ونحن بدورنا نضيف أن هذا يسيء إلى المرأة العربية ويجعلها في مرتبة غير إنسانية، تحولت معها إلى دمية في أيدي المصورين والمخرجين على الرغم من إدعاءات هؤلاء جميعاً في دفاعهم عن حقوقها في المعرفة والعلم، أي علم وأي معرفة وأي حقوق للمرأة في ظل هذه الصور المشوهة الكريهة؟!

وأي إعلام هذا الذي يقدم بنات في عمر الزهور، تتراوح أعمارهن بين التاسعة والعاشرة وهن يغنين ويرقصن في عري مفضوح؟.. إعلام مسطح يقيم حواراً مع الأطفال حول القبلة أي «البوسة» بكلمات مكشوفة مفضوحة..!؟

هل من حقوق الأطفال أن نقدم لهم الإباحية والشذوذ في صور مسلسلات كرتون وبرامج حوارية، ترقص وتتلوى فيها البنات الصغيرات في صورة تمتهن فيها

طفولتهن وحياءهن؟. لماذا نشتري مثل هذه البرامج..؟ ولماذا نقدم أموالنا ثمناً لسموم نجرعها لأطفالنا..؟

أخذتنا الفضائيات بالهوس والتكنيك المفزع لحواسنا؛ دون أن نعي أنها مرتبطة إعلامياً بأهداف مموليها، فجلبت البلبلة إلينا في كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية والفنية والرياضية، حتى بتنا نستهلك الوقت بأسلوب رخيص مفرغ من الثقافة ومضامينها، لتتحول الفضائيات بعدها إلى تجارة صريحة بعقول شبابنا، فتحولنا معها إلى سلع يتفاوض عليها المستثمر بأدواته وأفكاره وسمومه.

ومن هنا كانت أهمية الحديث عن حقوق الإنسان، والحفاظ على الهوية الثقافية، والدفاع عن الذات الوطنية والقومية في مواجهة ما يسمى بالغزو الثقافي، والهيمنة الإعلامية للدول الكبرى، التي تملك أدوات تصنيع هذه التكنولوجيا.

إن أية قراءة دقيقة وواعية لما يجري حولنا، تؤكد أن ما يحاصرنا مخالب إعلامية تستهدف السيطرة على عقول إنساننا العربي المسلم ووجدانه، لأنها مادة خام يعمل الجميع على تشكيلها، لتكون أداة سهلة في يد الصهيونية التي تخطط وتسعى لسلب الأرض والتاريخ.

وإذا تأملنا خطابنا الإعلامي الخارجي بعد حوادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وجدناه خطاباً دفاعياً هزيلاً، لا يملك أدوات التصدي بمنهج العصر، ولا يتحدث لغة الآخر بوسائله وأسلوبه، ويشاهد تزييف الوعي وهو صامت، ولذلك كانت النتيجة هي توظيف العالم لخدمة أفكار الصهيونية وأهدافها، إذا تقوم إستراتيجية الإدارة الأمريكية الصهيونية على لصق التهم ببراعة بالعرب والمسلمين..!! وتلخص خبيرة الإعلام والعلاقات الدولية بفرنسا «فيرجيني ساندروك» بأن أحداث ١١ سبتمبر «أسهمت في تشكيل رأي عام تجاه الشرق.. وأنه منذ ذلك الوقت أصبحت وسائل الإعلام إحدى الوسائل الأساسية في إستراتيجية الحكومة الأمريكية التي تهدف إلى إقناع الرأي العام بأن الأعمال الإرهابية شكل من أشكال الحروب». ونحن مازلنا نائمين، ومازال إعلامنا يعاني الموت السريري، ويعيش على مُنَفِسّة التمويل.

وتزاحمت الدنيا بأفكار الصهيونية والغرب وخططهما مثل «الإرهاب والعنف، والعمليات الانتحارية، ومحور الشر، والدول المارقة»، وكل ذلك ما هو إلا صناعة صهيونية، صنعت ونفذت بمهارة إعلامية ذكية، لتنصر الباطل، وتقضي على الشرعية الدولية وتبث الفتنة بين الشعوب العربية المسلمة.

وتستمر أجهزة الإعلام في العالم الغربي والمسيطر عليها من قبل العقول الإسرائيلية على التخطيط المنهجي لكل آليات الإعلام التي تستهدف النيل من مقدرات منطقة الشرق الأوسط، والعمل على شل عقول أبنائه عن رؤية الصورة الحقيقية لما يخطط لهم، وكيف تسلب هويتنا عبر السيطرة بدقة على الصور والمعلومات التي تحدد المعتقدات في المنطقة العربية والإسلامية، وهي تبث كل ما يثير الشكوك حول ثوابت حضارتنا؛ لتحديد سلوكنا، وتبني الأفكار التي تروج لنا، ومن هناك تكون الكارثة فالأفكار تستحدث لنا، وهي أفكار زائفة تهدف إلى إنتاج وعي لا يستطيع أن يستوعب ما يطرح عليه ويقدم له، لأنها أفكار مضللة للتاريخ؛ هدفها إحداث صراع مفتعل للحضارات.

إن تضليل عقولنا هو الوسيلة التي تستخدم للأسف لاحتواء إعلامنا الآن دون أن يستوعب الإعلام العربي السياسي هذه القضية بكل وسائلها الزائفة المتعددة. فتضليل العقول قهر لنا ولشبابنا، ولذلك ترى كثيراً من شبابنا يعيش بلا انتماء، ويتبنى ثقافة استهلاكية متنوعة من الزي والشكل والفنون، وتخرج علينا مصطلحات وألفاظ وأغانٍ وموسيقى ورقص وألفاظ مفجعة جامحة نحو الجنس المباشر، مع إضافة طابع خلاب على كل ذلك، يضمن التضليل والتشويه في الوقت نفسه، بل يضمن التأييد الشعبي لكثير من الظواهر الغريبة عنا وعن قيمنا وثقافتنا، والوسيلة الماهرة لتنفيذ هذا المخطط المؤثر هي «التضليل الإعلامي» وهو أداة مهمة للسيطرة على العقول والوجدان، لدرجة أن الخاضعين لهذا التضليل يتحولون في النهاية إلى منفذين ومؤيدين له بل وداعين للتمسك به والعمل على إنجاحه من ذلك على سبيل المثال الشراكة القائمة بين مجموعة «كورب نيوز» التي يملكها الملياردير اليهودي

«روبرت مردوخ» وبين مجموعة «روتانا» الإعلامية العربية، إذ إن لمردوخ أسهماً في «روتانا»، و«لروتانا» أسهم في «كورب نيوز».

وسائل التضليل كثيرة ومتعددة وأهمها السيطرة على أجهزة المعلومات والصور على كل المستويات، ومن هنا تعمل الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية وكثير من الدول الغربية على امتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها، وهذا متاح لهم لأنهم يملكون المال، وينتج عن ذلك – في النهاية- أن محطات الإذاعة وشبكات الفضائيات والصحف والمجلات وصناعة السينما ودور النشر تصبح في معظمها مملوكة ليهود؛ وعليه تصبح وسائل الإعلام تحت سيطرة الأفكار التي ترغب الصهيونية ومن يستخدمها من دول كبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا أن تبثها في منطقة الشرق الأوسط والعالم أيضاً.

* * *

صفحات هذا الكتاب تحمل في طياتها رسالة مهمة فيما نعتقد، رسالة تستهدف أولاً وأخيراً البحث عن هويتنا، وكيف يعمل الغرب بأدواته القديرة على طمسها(!!) بحجة التطوير والتنوير والتعاطي مع آليات العصر، بينما تظل الآليات والبرامج والخطط التي ينسجونها من حولنا تستهدف إخفاء وجودنا الحضاري، وإنكار تأثيرنا، وتقزيم دورنا ودور العقل العربي.

ولقد حاولت في هذا الكتاب من خلال حوادث موثقة ومتنوعة وبرامج تُعَدُّ من قبل الغرب وحلفائه للنيل من الوطن في كل أنحائه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، أن أقوم بدراسة وسائل الإعلام وما تبثه وتفرضه على إعلامنا بصداه المؤثر في شبابنا وهويتنا، وفهم الآليات التي تُصنَّع من أجلنا والتي نراها في ألوان مختلفة، مؤكدين رؤيتنا التي يجب أن نسعى من أجلها ألا وهي فضح هذه المخططات الإعلامية المختلفة، التي تعزف عليها برامج الصهيونية ومخططاتها، التي كان جرّاءها أن تزاحمت الدنيا بأفكار الصهيونية والغرب وخططهما معا مثل الإرهاب والعنف والعمليات الانتحارية ومحور الشر والدول المارقة، وكل ذلك ما هو إلا صناعة

صهيونية أصيلة، صُنعت ونُفذت بمهارة إعلامية ذكية لتنصر الباطل على الحق، وتقضي على الشرعية الدولية، وتبث الفتنة بين الشعوب العربية والمسلمة.

وفي ظل ذلك كله نتساءل: كيف نقاوم هذا ونكشفه..؟

وكيف – في المقابل – نقدم أنفسنا للعالم، ونقترب منه، بلغة يفهمها ويقرؤها؟!.

هذا هو ما نحاول أن نضع له تصوراً، مذكرين بحضارتنا التي سُلبت منا على مر التاريخ، وحتى لا نقف مكتوفي الأيدي، بعيدين عما يجري في الساحة الدولية من تطور وتقدم.

والله المستعان.

المؤلف

الباب الأول

الإعلام المكذوب

تعمل الصهيونية على تجريد الإنسان العربي من وجوده؛ حتى تذوب هويته.

الفصل الأول

حقوق الإنسان المسلوبة

أصبح «الإعلام» في حياة الناس على اختلاف ثقافاتهم هو المنبع الذي ينهل منه الإنسان في كل مكان معارفه وثقافاته، فهو يقدم لنا كل شيء من علوم ومعارف وآداب وفنون وثقافات الأمم، وحضارات لم نكن نعلم عنها شيئاً، ومعارف كان من الصعب الوصول إليها، ويقدم لنا أيضاً برامج لا تتناسب مع عقولنا وبيئتنا، غريبة عن مجتمعاتنا.

الإعلام بصورته الحالية ثورة وانقلاب في حياة الناس يقدم كل ما هو مفيد وضار في الكأس نفسه، وقد جعل العالم بكل وسائله قرية صغيرة، وأصبحت وسائل الإعلام، تجسد صورة التطور المذهل الذي يحاصرنا من كل جانب، تطور غيّر الكثير من السلوك والعادات، وأيضاً أضاف الكثير من السلوكيات والمعارف، بل أسهم في التقارب والتناحر أيضاً.

وهذا الإعلام الذي حاصر الإنسان وشغل وقته، فرض حصاراً لا فكاك منه، تارة باسم التحديث والتقدم، وتارة باسم التقارب بين الشعوب، وتارة أخرى باسم حقوق الإنسان، وليست «حقوق الإنسان» في الوقع إلا أثر من المقتنيات في المتاحف يشاهدها الناس من بعيد، دون أن يكون لهم الحق في لمسها، والاستمتاع بها.

فمنذ أعلنت الثورة الفرنسية مبادئ حقوق الإنسان، وكتبوا وثيقة لذلك، والإنسان يعيش في صراع مع قوى الشر، فقد تنكر له الجميع، وأنكرت حقوقه، وسالت دماء الإنسان أنهاراً في كل العصور، وأصبح العالم يعيش في ازدواجية لا تعترف بالضعيف.

تتشابك الحناجر وتصطدم الأقلام من أجل حقوق الإنسان، ويتباهى الإعلام بتغطية المنتديات ويقدم توصيات الجمعيات التي تدعي أنها تحمي المرأة والطفل والكهل، وفي الوقت نفسه يقدم لنا الإعلام انتهاكات لا حصر لها لحقوق الإنسان.

أمريكا تتزعم اليوم «حقوق الإنسان» وتقول: إن الذي اخترعها وطبقها وفهمها هم الأمريكيون وحدهم، فـ «إبراهام لنكولن» ألغى الرق، وحارب في سبيل تحرير العبيد، والواقع يكذب ذلك ويؤكد أن الإدارات الأمريكية تتزعم عبودية الإنسان في كل مكان، فهي التي ضربت بالقوانين والدساتير الدولية عرض الحائط، واستغلت أحداث سبتمبر الغاشمة لتعلن عن أطماعها في منطقتنا العربية والإسلامية، وتكشف عن نوايا استعمارية شرسة!!

والمتتبع للتاريخ يكتشف أن الإنسان سلبت حقوقه وضاعت، إن حقوق الإنسان شيء لا وجود له إلا في (إعلانات) رجال السياسة وبرامجهم الدعائية وبعض الواهمين من المفكرين!!

نحن نعيش عصراً نجح فيه الغرب وأجهزته وآلياته المتطورة ومنظماته المختلفة المدعية الحفاظ على حقوق الإنسان، في أن يجعل من كل انحراف حقاً من حقوق الإنسان، ينبغي الدفاع عنه، ابتداء من حرية اللواط والسحاق والزواج المثلي بين الرجل والرجل، وبين المرأة والمرأة، إلى السخرية من القيم، ومحاولة الاستخفاف بما هو إسلامي أو مرتبط بتراث الإسلام، إلى مهاجمة الأديان والعقائد، والسخرية منها، إلى السعي بجدية إلى تفتيت وحدة الأوطان، وزرع بذور الشقاق وأخيراً ما ادعته الإدارة الأمريكية بأحقية إمامة المرأة للصلاة؛ لإثارة الجدل وبث الفتنة بين المسلمين وإبعادهم عن أهم قضايا المستقبل.

القصة دائماً واحدة، والسيناريو فيها كاذب ومخادع، إما تصطدم بعقيدة تفتح جرحاً نافذاً دامياً، أو إطلاق ادعاءات كاذبة مثل الديمقراطية، وحرية المرأة، وحقوق الطفل، ومكافحة الإرهاب وحقوق الأقليات في المنطقة العربية، كما حدث بين المسلمين والأقباط في مصر، والسنة والشيعة في السعودية، والجنوب والشمال في السودان، وإشعال الفتنة في اليمن بإشعال المعارك بين الحوثيين والحكومة اليمنية، أو

تحريض ما يسمى الحراك الجنوبي في اليمن الذي لم يعد سعيداً على الانفصال وجعل اليمن يمنين. وكلها ادعاءات مغرضة، وحق يراد به باطل.

والشواهد كثيرة ومتعددة، فهناك منظمة مراقبة حقوق الإنسان «هيومان رايتس ووتش»، ومنظمة الدفاع عن حقوق «اللواط والسحاق» دفاعاً عن حق الممارسة المنسوب إلى الشباب الذين تم ضبطهم في كثير من العوامات، أو الذين تم ضبطهم في القصر البلجيكي الذي سبق عصره وهو قصر «البارون أمبان» بمصر وعُرف عن هؤلاء أنهم «عبدة الشيطان»، وما شهدته مصر أخيراً من إثارة مسلسل الفتنة بين المسلمين والأقباط في صور متنوعة، وإعلام الغرب يعمل بتيقظ وتخطيط مدروس يستهدف حصار العرب في بوتقة الجهل والتأخر والضياع، ونحن ندور في المتاهة حول قضايانا المفتعلة، مثل ما حدث في مصر من خلق فتنة في صعيد مصر بحجة الدعوة لمناقشة مشكلات الأقليات في مصر، والهجوم على الحجاب بوصفه رمزاً للعنصرية، وختان البنات، والتشكيك في القرآن الكريم والهجوم عليه، والتسفيه لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال إصدارات مسمومة ومغرضة تستهدف الإسلام، ومن هذه الإصدارات وليس آخرها كتاب الجد بوش «محمد مؤسس الدولة الإسلامية» وهو من سموم العنصرية التي تبث الباطل والشاذ من المعلومات المغلوطة والغريبة والتي تصور العرب والمسلمين في صور كريهة ومنفرة، والهدف من هذا الكتاب، وكتاب «بلاد العرب» لـ «ديفيد جورج هوجارث» وغيرهما، في هذه الحقبة بالذات، هو البحث عن عوامل القوة والضعف في المجتمعات العربية والإسلامية، ثم النفاذ إلى مكنونات ذلك المجتمع، حتى يتسنى للصهيونية والغرب دس السم الزعاف للقراء على اختلاف أصنافهم وطبقاتهم، وذلك من باب الحقد على العقيدة الإسلامية، والجهل بحقائقها، وحقائق شخصياتها الرئيسية ولكن دائماً ما تُغلف الدعاية المضادة للإسلام وتاريخه بالأسلوب الدبلوماسي الغربي الذي لا يستشعر ما فيه من الأهواء والأغراض، إلا أصحاب الثقافة العميقة بالإسلام، وهذان الكتابان شأنهما شأن معظم كتابات الغرب.

وفي مهرجان إعلامي سجلته عدسات اثنتين من كبريات الفضائيات العربية، أقيمت في نيويورك بقاعة مستأجرة في إحدى الـ «كاتدرائيات» صلاة أمَّتها امرأة وحضرها طبقاً لتقديرات «وكالة الأسوشيتدبرس» ما يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ شخص، أغلبهم من النساء والأطفال وقليل من الرجال، جاء العديد منهم بدافع الفضول.

أمَّ المصلين الذين اختلط حابلهم بنابلهم «د. أمينة عبد الودود» أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة فرجيني، ونظم الحدث الآنسة «إسراء نعماتي» وهي صحفية سابقة بجريدة «وول ستريت جورنال» وتقول «أندريا إليوت» المحررة بصحيفة النيويورك تايمز إن «إسراء» هي التي أقنعت «د. أمينة عبد الودود» وهي أمريكية من أصل أفريقي، بفكرة إمامة صلاة جماعة مختلطة، وتولت الترويج لهذا الحدث، ولكتاب لها عن المرأة في الإسلام من خلال موقع على الإنترنت أسمته «أيها المسلمون استيقظوا» وهذه حوادث القضية التي أثارت جدلاً غير مفهوم واختلط فيها الحق بالباطل، واستغلَّ المضللون شعارات حقوق المرأة ونددوا بالإسلام.

وقد شغلت تلك القضية الرأي العام، وبدأ الإعلام العالمي في تناولها بصور شتى بما لا يتناسب بحال من الأحوال مع الواقع، وتناسى المغرضون ما سجله أئمتنا الأفاضل حينما بينوا أن السنة الشريفة قد وضعت هذه الأسس حفاظاً على كرامة المرأة، ودرأ لنوازع الشيطان وسداً للذرائع. فالصلاة في الإسلام ليست مجرد ابتهال ودعاء كالصلاة في النصرانية، بل فيها قعود وركوع وسجود، وهي حركات لا يحسن أن تقوم بها امرأة بين يدي الرجال في عبادة تتطلب خشوع القلب وسكينة الفؤاد، ولا علاقة لذلك بقضية المساواة وحرمان المرأة من مواقع القيادة، فكلها أكاذيب إعلامية تريد أن تنال من الفضائل، وتريد إشاعة السوء والرذيلة والفتنة بين المسلمين والعرب، فالمرأة المسلمة تولت على مدار العهود المناصب وقادت الدول دون غضاضة حتى أن ٩٠ امرأة تولين القيادة بصورة ما في التاريخ الإسلامي، وأن السيدة خديجة كانت مصدراً للفتوى وتعليم الدين والسيرة النبوية الشريفة وهنا يسجل د. حسن رجب قائلاً:

«إن ما حدث هو مجرد ستار من الدخان يخفي نوايا أكثر شراسة، تستهدف تدمير المفاهيم الإسلامية من الداخل تمهيداً للتبشير بدين إسلامي علماني يتفق مع النظام العالمي الجديد، معدوم الهوية، منقطع الصلة بتراثه العريق، مما يسهل اختراقه وتذويبه في المجتمعات الغربية، بزعم أن ذلك كفيل بإحلال السلام والوئام بتذويب الأعداد المتزايدة من الأقليات المسلمة في بلادهم، وترويض المسلمين في الدول التي يشكلون بها الأغلبية».

وهذا نسجله على سبيل المثال لا الحصر؛ فالمحاولات عديدة ونتوقع فرقعات متنوعة في أزياء مختلفة، تهدف إلى إشغال المسلمين عن قضاياهم الحقيقية وعن تنمية **مجتمعاتهم بصورة علمية تكون المعرفة فيه.. هي الأساس في كل شيء.**

وهنا نسأل لماذا لم تتول امرأة إلى الآن «رئاسة أساقفة كانتر بري» في بريطانيا مثلا..؟ بل لماذا لم تصل أي امرأة إلى الآن إلى السدة البابوية..؟ ولماذا لم نسمع عن امرأة أمريكية تولت الصلاة بجموع البروتستانت في بلادها، مع أن ثمة رهبانية للنساء وتلك وظيفة مخصوصة تفرغت لها المرأة عندهم، وقد كانت قواعد فقهية مهمة في الإسلام تؤخذ عن السيدة عائشة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» ويقصد بها السيدة عائشة، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يناديها «الحميراء» على التحبّب.

وقد سجل الدكتور «عبد المجيد فراج» وأيده د. «هشام صادق» عميد كلية الحقوق في الإسكندرية الأسبق في مقال بجريدة الأخبار ١٨ يناير ٢٠٠٣م «إن نشأة العلمانية قد ارتبطت بالصراع بين الكنيسة الأوروبية في جانب، والمفكرين الأوروبيين في جانب آخر، خلال العصور الوسطى فهي بذلك وليدة أفكار «أهل الفرنجة» في عصر ولّى وانقضى».

ومن ثم فإن العجب كل العجب أن تتخذ العلمانية في بلادنا العربية والإسلامية ذريعة للطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة. أو الادعاء بأن الدين الحنيف لا يتلاءم مع الحضارة أو التحضر، أو يدعو إلى التخلف استناداً إلى تضخيم حجم بعض الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي.

ولا شك أن الفكر العلماني جاء ردَّ فعل لسيطرة رجال الدين المسيحي على الحكم ومناهضتهم للتفكير العقلي ومناهج البحث العلمي، بل وممارستهم لكافة أنواع القهر والطغيان التي وصلت إلى حد تكفير الناس وإزهاق أرواحهم من خلال محاكم التفتيش التي عرفت في القرون الوسطى. وهي ممارسات تمت تحت شعار الإكليروس والرهبانية وبيع صكوك الغفران.

ولعل عدم معرفة الإسلام لفكرة المؤسسة الدينية «الوسيطة» بين الرب وعباده على هذا النحو، هو السبب في عدم ظهور التوجه العلماني في فقه الشريعة.

الفصل الثاني

الصورة الممسوخة

ولابد من وقفة ضرورية مع التاريخ، لكل من يريد معرفة الحقيقة، فالتاريخ يصحح المفاهيم المغلوطة ويبين سر عداوة الغرب والصهيونية للمسلمين والعرب. فالتاريخ لا يكذب مثل الإعلام المكذوب، وعليه يجب أن نتساءل علام يثير الإعلام هذه الضجة المفتعلة ليشغل الناس والرأي العام ويثير الفوضى والمناقشات التي لا طائل لها إلا افتعال الإثارة حول الإسلام والمسلمين، ولكن أين هو هذا الإعلام مما يحدث من قتل وتشريد وتعذيب للبشرية في كل مكان..؟ أين هو من «المسلمة» التي تغتصب في سجون الحلفاء، وبخاصة في سجن أبو غريب..؟ وكيف تنزع ملابسهن ليعرضن عاريات في رمضان على إخوانهن المسلمين المسجونين، وبالطبع على جنود لا يعرفون الرحمة وهذا موثق وثابت بشهادات وتقارير جماعات حقوق الإنسان.

ولكن الفرق يكمن في توظيف الإعلام بأدواته الحديثة والمتطورة، وفي المنهج الإعلامي المتيقظ لما يحدث في العالم من خلط الأوراق وخداع العقول بالصورة الممسوخة.

والصورة الممسوخة يرسمها ويحددها بمهارة وخبرة وعلم، الإعلام الصهيوني الذي يجيد استخدام تشويه الصورة، وتقديمها للعالم كأنها حقائق لا غبار عليها، يسعى الإعلام الغربي خلفه، جاهداً وشاهراً كل أسلحته الإعلامية في تشويه صورة العربي في كل مكان مستغلاً السلوك غير الرشيد وغير المسؤول الذي تسلكه قلة عربية منحرفة بطبعها. وقد أظهر الكاتب الألماني «غي سولوكوفسكي» الأستاذ في جامعة هامبورغ في كتابه المميز جداً «صورة المسلم العدائية» عدداً من الصور النمطية عن العرب والمسلمين ففي الفصل الثالث من كتابه ثمة عنوان «صانعو العداء» أورد فيه عناوين أغلفة الصحف الألمانية من ذلك: «شباب الله الغاضبون»، وغلاف مجلة

شتيرن «القرآن دليل لصناعة القنابل»، و«ما مدى خطورة الإسلام»، و«شركة الإسلاميين في ألمانيا المساهمة»، ومجلة فوكس «كيف يخطط المتعصبون للإرهاب».

وهذا ليس جديداً على الغرب، فبعد أن انتهى من تشويه صورة «الزنوج» و«الهنود الحمر» والأقليات المختلفة التي تعيش في أوروبا وأمريكا اتجه إلى تشويه صورة العربي المسلم في وسائل الإعلام، بينما تدعم الصهيونية هذه الحملة في المقابل وتسهم فيها.

تسجل ذلك الدكتورة عزة عزت في كتابها «صوت العرب في الغرب» حيث تقول:

«ويشارك العرب في استكمال الصورة الممسوخة، بالإساءة المتبادلة فيما بينهم كدول على صفحات صحفهم في الداخل والخارج وبالسلبية الإعلامية، وانعدام الرؤية والافتقار إلى النظرية الإعلامية المتكاملة التي من شأنها التصدي لهذه الحملة. وإظهار الشخصية العربية على حقيقتها المتحضرة».

وتؤكد الحوادث المتلاحقة أثر الإعلام الصهيوني والإعلام العالمي في تشكيل الصورة المشوهة الغريبة عن العرب، لاستغلال ذلك سياسياً، وأبرز مثال على ذلك الصورة الأمريكية عن العرب، والتي تضعهم في نمط أو قالب جامد وثابت في أذهان الشعب الأمريكي، خدمة لأهداف الصهيونية، يوضح الكاتب «محمود ناجي الكيلاني» في بحثه: «دور الإعلام في صناعة الهيمنة..» بأن الغربيين: «استجمعوا أهم عناصر الإعلام التي تخدم سياستهم، من رسالة إعلامية مفبركة يخرجها محرر محترف في الصياغة واختيار العناوين والمصطلحات، التي تصبح من كثيرة التكرار أنموذجاً لغوياً تألفه الأسماع وتردده الألسنة، وهي إحدى صور التبعية التي تثبت جدواها مع الزمن»، ويقابلها الإخفاق غير المحدود للإعلام العربي، أما النجاح الإعلامي الصهيوني في هذا المجال، رغم الجهود المبذولة في هذا الصدد، وذلك لخلو الإعلام العربي من عنصر التخطيط الاستراتيجي.

والإعلام العربي يقف مكتوف الأيدي دائماً مكتفياً بالمشاهدة من دون أن يكون له دور فعال.. حتى بات المثقف في بلادنا مشتتاً بين الثقافة الوافدة وثقافته الموروثة، في وقت تتغير الدنيا كلها بسبب التكنولوجيا فائقة الصغر وحوسبة الكم والتزاوج بين العقول البشرية والعقول الإلكترونية، وهي تقنيات القرن الحادي والعشرين، وهناك الكثير مما لم تره البشرية سيحدث تغييراً مثيراً في الـ ٣٠ سنة القادمة، فماذا نحن فاعلون؟.

والعالم كله مهيأ لاستقبال ومواجهة التغيرات العلمية، أما بقية العالم الثالث وخاصة المنطقة العربية، فهي لم تستطع حتى الآن مواجهة صدمة ثورة الاتصالات بمعنى أدق ثورة التكنولوجيا.. التي من غيرها سنكون في غياهب الجب.

ولا خيار أمام الدول النامية، إما أن تدخل في ثورة الاتصالات وتواجه صدمة الإنترنت أو تفقد جزءاً من سيطرتها على شعوبها وتضيع هويتها وسط زحام غريب.

فنحن في عصر تتحدد فيه السيادة.. بامتلاك المعلومات التي تنفرد بها الدول المتقدمة من خلال الأقمار الصناعية وليس بسيطرتها على الأرض.

ونلاحظ كيف فرضت إيران وتركيا وإسرائيل نفسها على الساحة بما امتلك كل منهم من أدوات وآليات التكنولوجيا المتقدمة، وخاصة بما يعرف بالنووي والحرب الإعلامية التي تدار حوله.. من حيث الاستخدامات السلمية في تقدم الأمم وخدمة البشرية، أو الاستخدامات الإرهابية التي تلوح بها إسرائيل مهددة العرب بما تملكه من مفاعل نووي قادر على السيطرة على المنطقة، أو أنها مؤهلة لتقود العالم بما تملكه من تقدم علمي وتكنولوجي في وقت يقف العرب عراة بعيدين ومجردين من علوم العصر والتقدم.. لا يسعون لوحدة اقتصادية وعلمية وتكنولوجية حتى لا تضيع المكانة والهيبة العربية.. وبدلاً من الخلافات العربية والإسلامية أو الطائفية في زمن لا يعترف إلا بالتكتلات الكبرى الموحدة.

وهنا لابد وأن نسترجع ما جاء في الاجتماع السنوي السابع «لمنتدى الإصلاح العربي» بمكتبة الإسكندرية من ١ -٣ مارس ٢٠١٠ وتحت عنوان «عالم يتشكل من جديد» إذا أراد العرب أن يكون لهم دور ورؤية حيث أكد الدكتور حسن عبدربه –

استشاري مصري مقيم في بريطانيا- رؤيته ضمن البحوث والرؤى التي قدمت في ذلك الاجتماع.. عندما قال: «بأن النظام العربي المستهدف منذ منتصف أربعينيات القرن الماضي.. واجه محناً وكوارث هائلة..

هزيمة عام ١٩٤٨م في الحرب العربية الإسرائيلية وهزيمة عام ١٩٦٧م في جولتها الثانية.. وزاد انقسامه حيال مستقبل التعامل معها منذ عام ١٩٧٧م وصولاً إلى اتفاقية السلام المصرية / الإسرائيلية بعد ذلك بعامين.. ثم تشرذمت وحدة الأنظمة العربية بعد احتلال القطر العراقي للقطر الكويتي عام ١٩٩٠م. ولما وقع احتلال العراق نفسه عام ٢٠٠٣م زاد تفتتها وتمزقها.

خلال هذه السنوات التي تزيد على الستين، نجح النظام العالمي في فرض إرادته على قلب وأطراف النظام العربي بالتدريج.. مستفيداً دائماً من تجارب النجاح والإخفاق التي مرت بها محاولاته، بينما لم يستثمر النظام العربي ما كان متوفراً له من إمكانات ذاتية وتحالفية، ومن هذه الرؤية استجد الآتي:

- لم يستفد العرب استفادة تذكر من خبراته وقواه البشرية.

- ولم يستفد من علاقاته بالمعسكر الشرقي طوال سنوات الحرب الباردة، ولم يطوع ويستثمر علاقاته مع المعسكر الغربي لتعزيز مصالحه العليا ضمن هذه السنوات العجاف.. ويمكن القول إن المدة الفاصلة من عامي ٦٧ و٧٣ هي الاستثناء الوحيد لهذه الخلاصة.

لماذا تقزمت القوى العربية القاهرة؟

يلاحظ أن النظام العربي عندما نجح – في المرات القليلة التي تمكن فيها من استعادة قدراته - في القيام بمصالحات، لم يعالجها من أعماقها، إنما اكتفى بما هو ظاهر منها، كذلك لم يصمد حتى أمام المتغيرات الداخلية أو الخارجية التي تعرض لها.. ومن المؤكد أنه لو كان قد صمم على الأخذ بآليات التغيير والإصلاح معاً لكان الوضع اختلف عما نحن عليه اليوم.

ثم يضع الباحث سؤالاً مهماً في بحثه حول: هل يمكن أن يكون للعرب دور؟ فيقول: «علمنا تاريخ البشرية أن الشعوب هي التي تقوم بسداد فاتورة تناقص كفاءة أنظمتها وضعف قدراتها على تفادي المزالق التي يسقط فيها بإرادة وبلا إرادة وتزداد تكلفة السداد إذا كانت هذه الشعوب تعيش أسيرة ماضيها.

النظام العربي لم يمت رغم افتقاره للثقة في النفس وخضوعه للهيمنة الخارجية التي تخدم المصالح الأمريكية المتحالفة مع إسرائيل، وهو قادر على توسيع قدراته على المقاومة لمخططات فرض الإرادة من جانب واشنطن.

وعلى هذه الصفحات نحاول أن نقترب من مخططات الصهيونية المدعمة من الإدارة الأمريكية.. لتخريب وسلب إرادة العرب وبث الفتن والإرهاب بينهم.

الباب الثاني

الإعلام ونبش القبور

ـ من يحاول أن يفهم الحاضر

من دون التنقيب عن الجذور

إنما يحرث في البحر

الفصل الأول

الظلال والتشوهات

من أراد الحقائق عليه أن يعي أن «التاريخ» سجل مهم ينير الطريق من غير مواربة أو مراوغة.. أي أنه يعرض حقائق بلا تزييف، وعلى الباحث الجاد المسلح بالعلم الموضوعي.. أن يقرأ بوعي ويتفقد أوراق التاريخ ليصل إلى مفاتيح مهمة لفك طلاسم الحياة، فما الحاضر إلا الابن الشرعي للماضي.. وعلينا أن نعي أن مشكلات الحاضر أي ما يدور حولنا من حوادث جسام وخاصة في المنطقة العربية والإسلامية، ومحاولة إجهاض حضارتها وتقدمها بل محاولة تهميش قيادتها.. هدفها القضاء على ريادتها السابقة وعدم نهضتها مرة أخرى.. فالغرب والأمريكان وعلى رأسهم «الصهيونية» يعون تماماً حركة التاريخ.. ويعلمون جيداً كيف كانت النهضة العربية والإسلامية وكيف كان الغرب؟.

ومن يحاول أن يفهم الحاضر من دون التنقيب عن الجذور إنما يحرث في البحر.

وخير دليل هو أن التاريخ يحدث مرة واحدة.. ولكنه يقرأ مرات ومرات، ويفهم بعقول متباينة.. ولكن الحوادث ثابتة لا تتغير إلا بعقول وإرادة من يريدون تزييف التاريخ، ولكن علينا نحن العرب أن نواجه ونعيد القراءة الفاحصة الدقيقة ونقدم للعالم أجمع تاريخنا المشرف الحافل بالعلم والمعرفة.

ومن ثم نكشف للعالم أجمع خطط إعلام الصهيونية المركزة على محاولة سرقة التاريخ والتراث العربي في كل العصور ونسبته زوراً وبهتاناً إلى اليهود.. والنماذج كثيرة لا تحصى ولا تعد وكان أهمها على الإطلاق تسويغ وتفسير الحروب الصليبية، ومحاولة خلق دور نضالي لليهود.. بل محاولة سرقة فنون الأدب والتراث لتحكي

بطولات زائفة في الحفاظ على وطن مزعوم لها في فلسطين، والصهيونية بإعلامها النشط تسعى من قديم الأزل إلى التخريب والسيطرة على مقدسات البشرية جمعاء.. فدستورها لا يعرف السلم، وخير دليل على ذلك التاريخ قديماً وحديثاً.. التصريح الخاص «بشارون» منذ بداية حكومته حين أعلن أسلوب عمله في إدارة شؤون إسرائيل منذ اليوم الأول لتوليه رئاسة الوزراء:

فقد أعلن أن السلام مع العرب مات من غير رجعة.

وأعلن أن القدس ستظل عاصمة إسرائيل.

وأعلن استمرار بناء المستعمرات وعدم السماح للاجئين بالعودة..

ومازال باراك ونتانياهو وكل من يأتي من رموزهم الإسرائيلية يؤمنون وينشرون تلك المبادئ.

أما نحن العرب فمازلنا نمارس هواية الكذب ليس على العالم بل على أنفسنا، خاصة بعد ما تحول سلام الشجعان إلى «سلام الخائبين» الذين يهرولون إلى المصافحة والسلام والتقاط الصور التذكارية، ومازال الخصام وعدم الوفاق بين الفصائل الفلسطينية (حماس وفتح.. نموذجاً) مازال على أشده ولم يتفقا على وحدة المصير.

الإعلام الصهيوني هنا وسيلة وسلاح فتاك يقدم التزييف على أنه حقائق.. يقدم المظلوم على أنه ظالم. فهو إعلام يحترف الكذب والتضليل.. يستغل الثغرات ويشعل النيران والفتن في كل بقعة يراها تخدم أغراضه وأهدافه، محاولاً ودائماً استغلال نقاط الضعف فيها ليركز ويضرب بقوة موظفاً الحوادث التي تخدم غرضه الاستعماري الاستيطاني.. محاولاً إبعادنا عن الحقائق وعن هويتنا وعن أرضنا شيئاً فشيئاً ونحن نسير ببطء غريب، ونسايره في الجري وراء قضايا ومشكلات لا قيمة لها بل وراء شعارات لا طائل منها إلا الخسارة.

ورأينا ما حدث في مصر من إحداث الفتنة وآخرها أحداث نجع حمادي في ٦ يناير ٢٠١٠ يوم أعياد الميلاد بهدف إفساد فرحة الأقباط ومحاولة إشعال الفتنة في

المجتمع المصري، وتهييج الإعلام العالمي ضد مصر على أنها دولة عنصرية لتنفيذ التخطيط لتقسيم مصر بين أقباط ومسلمين، وما حدث في لبنان.. ومازالت المسلسلات مستمرة، والإعلام لا يقوم بما يجب عليه من مسؤوليات إعلامية لتكشف هذه الأفاعيل المسمومة. إن تاريخ الصهيونية حافل بالمؤامرات، ويجب – هنا – أن نسجل مشاهد من ذلك التاريخ ليكون وثائق يستطيع الإعلام تجسيدها في وسائله المختلفة.

رجال العصابات

عرف عن اليهود تحالفهم مع الإمبريالية العالمية، وكونوا حزمة من التكتلات لإشعال المؤامرات على مستوى العالم.. فرأينا في «زائير» كيف خططوا مؤامرة شاذة لخلع العميل الفرنسي «موبوتو سيسيكو» بواسطة تحالف أمريكي إسرائيلي وإحلال عميلهم «كابيلا» مكانه.

ونعود بالقارئ إلى ذكريات سابقة تجسد جرائم الصهيونية في «رواندا» وبوروندي، بعد سقوط طائرة الحاكم وحروب الإبادة التي اشتعلت بين قبائل التوتسي والهوتو، حتى بلغ عدد ضحاياها مليون قتيل.

ولم يشغل الإعلام العربي والإسلامي نفسه بهذه الجرائم فنعود بذاكرتنا إلى ملف التحقيقات في عهد «تاتشر» التي كشفت عن صفقات السلاح التي أرسلتها إنجلترا إلى الرئيس العراقي صدام حسين أيام حرب العراق مع إيران.

وما يحدث في جنوب السودان لضرب الحكومة الإسلامية هناك.. وهي عمليات كلها تستهدف الفتنة والانقلابات في كل بقعة ترغب فيها الصهيونية والاستعمار الغربي بهدف إخضاع الدول النامية واستنزاف خيراتها.. كل هذا يحدث تحت شعارات كاذبة خداعة زائفة، متكررة من الغرب بأنه حليف وصديق ورسول سلام يسعى لنشر الديمقراطية.

أي ديمقراطية هذه التي تضيع فيها الحقوق وتسلب ثروات البلاد ويقتل فيها الأبرياء ويطرد المواطنون من أوطانهم؟

أين دور الإعلام لكشف هذه الأكاذيب والأباطيل المسمومة؟.

فوراء كل هذا أطماع في أسواق العالم النامي وبتروله وكنوزه، بل وأطماع في أرضه، والمسلسل الإرهابي يأخذ مناحي متعددة، فهناك تدمير من نوع آخر عن طريق الفضائيات المتنوعة والإنترنت، تدمير ثقافة الشعوب النامية وعقائدها في مجالات دنيئة، وإثارة الفتن بين المسلمين بعضهم بعضاً وبينهم والأقباط في مصر، والادعاء بأن هناك اضطهاداً دينياً في مصر، مع التهديد بعقوبات اقتصادية، فالأيدي التي صنعت مليون قتيل في رواندا، واغتصبت أرض فلسطين وسفكت دماء العديد من الفلسطينيين واللبنانيين والمصريين والسوريين في حروب قذرة، هي نفسها التي تقف وراء أطماعها الجديدة اليوم.

وما أخطر ما تتعرض له شعوبنا العربية والإسلامية من التسلل إلى جذورنا وشبابنا.. إما عن طريق الاغتيالات أو بث ونشر الجراثيم، وإشاعة الأكاذيب والأفكار المسمومة عن طريق الفيلم السينمائي والتليفزيوني الترفيهي، ونشر العادات الاستهلاكية، والرفاهية السطحية، والمسلسلات التي تقتل الوقت، والإعلام المفترس الذي يحاصرنا من الأقمار الصناعية عبر الفضاء ليمغنط العقول وليفرغها من محتوياتها.

استعمار جديد يتبع أسلوباً إعلامياً يستخدم الإلكترونيات ليسلب العقول عن طريق الفضائيات المتنوعة الجذابة، والجريدة المحلية والكتاب.. مثل ما حدث من كتاب لمؤلف شيوعي يهودي هو «ماكسيم رودنسون» كان مقررا على طلبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة، والكتاب يسيء إلى الدين الإسلامي والرسول عليه الصلاة والسلام، ثم تكثيف السلبيات عن طريق الفيلم والأغنية الهابطة التي تحاصر العقول والنفوس، ثم صار حصار اقتصادي ليشل الأيدي والنفوس من خلال التضخم والغلاء والبطالة، إلى جانب الاعتداء على العقل من خلال أفلام هابطة بلا معنى. كل هذه الخيوط تمسك بأطرافها الصهيونية وحيتان الاستعمار الغربي.

وما نسجله هنا ما هو إلا عمليات جرد لحصاد التاريخ.. وما التاريخ إلا ملفات الماضي.. لتكون عظة الحاضر والمستقبل. وما تفعله عصابات اليوم هو حلقة من حلقات عصابات الماضي.

عراق اليوم يختلف عن عراق الأمس..!! عراقة شعب الرافدين الممتدة إلى أربعة آلاف عام، هي اليوم من غير تاريخ فقد اختفت وسلبت، ووقف العراق عارياً تماماً من غير تاريخ.

هذا يثبت أن المبادرة الخاصة بمشروع «الشرق الأوسط» الكبير ليست إلا الطموح الإسرائيلي في تفتيت المنطقة والسيطرة عليها.

وهذا ما تحدث عنه شيمون بيريز في كتابه «الشرق الأوسط الجديد» وسجل فيه أنه يجب هدم الجامعة العربية «التي تقوم على قاعدة قومية» لتحل محلها منظمة تعاون إقليمية تتحرك على قاعدة «فوق قومية».

وقال:

«إن ذلك سيكون الرد الوحيد على الأصولية»، ومن يعيد قراءة التاريخ ويفتح بروتوكولات صهيون ودستورهم الانتهازي الاستعماري؛ يتأكد من أن جرائم القتل ما هي إلا سلسلة صهيونية مدبرة ومخططة ببرنامج محدد لتنفيذ المشروع الصهيوني، وعلى الصفحات الآتية سنقدم للقارئ ملفات تسجل هذا الإجرام الصهيوني.

الفصل الثاني

أوراق صهيونية

إن إسرائيل بحروبها مع الدول العربية وقسوتها ضد الفلسطينيين، والعنف الذي تمارسه معهم، وأسلوبها في التفاوض وسياستها المكشوفة وغير المكشوفة؛ كلها تطبيق حرفي لما جاء فيما سمي «بروتوكولات حكماء صهيون» الذي يُعَدُّ ميثاق الحركة الصهيونية ودستورها منذ عام ١٨٩٧م، ولو تأملنا ما ورد في نصوص هذه البروتوكولات.. وعددها ٢٤ بروتوكولاً التي وضعها أغنى حكماء صهيون، الذين يمثلون خمسين جمعية يهودية في المؤتمر الصهيوني الأول، الذي عقد في «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م برئاسة الصحفي النمساوي «تيودور هرتزل» حيث وضعت في هذا المؤتمر خطة إقامة إسرائيل معتمدة على هذه البروتوكولات في تخطيطها، على أسس علوم التجارة، والاقتصاد، وعلم النفس بل وسائر العلوم الأخرى.. ووفق خطة طويلة الأجل، قد يمتد تنفيذها – على مراحل- لقرن أو أكثر وهي تعتمد على بناء الأجيال، أي أن كل فرد، عليه أن يضع لبنة أو أكثر في هذا البناء، ثم إذا مات يأتي غيره من بعده وهكذا.. فإن تحقيق الخطة ثابت والأشخاص متغيرون.. وإن كان كل منهم يشهد جزءاً محققاً منها وُضِع بيده ونفذه بفكره.

الطابع الانتهازي والخلق الملتوي الذي تتوارثه أجيال الصهيونية يقف وراء هذه البروتوكولات.. حيث ينبع منه المعتقد الصهيوني، ومن هنا فإن من يطالع هذه البروتوكولات.. ويتابع ما يحدث عالمياً في ميدان الاقتصاد والاجتماع أو في علاقات الأخلاق العامة، أو مجالات السياسة والأدب والسلوكيات.. يجد علاقة وثيقة بين جوهر المعتقد الصهيوني في التخطيط للسيطرة وبين الانفجارات الأخلاقية والمذهبية في العالم كله.

ويؤكد الكاتب «صابر عبد الرحمن طعيمة» في كتابه «الماسونية والصهيونية والشيوعية، غاية وهدفاً»: «أن البروتوكولات تهدف إلى إحداث تمزق نفسي وأخلاقي

في الأسرة وفي مستواها العائلي المحدود في مجال العلاقة الجنسية وذلك للعمل على تفكيك أواصرها، تمهيداً لتجريدها من قيمة الدرس والأخلاق».

ومن هنا نرى أن الصهيونية لها دور كبير وراء ما يحدث من شذوذ في العلاقات الأسرية، وخروج على مقتضى قوانين الطبيعة والغريزة.

استغلت الصهيونية العالمية التطور المادي والاقتصادي، الذي طرأ على العالم، فجعلته في خدمة أهدافها، حتى ولو كان تحقيق الهدف هو المسخ والتشويه لكل القيم الإنسانية.. فقد خرجت الحركات التي لا تدعو إلى تحرير المرأة في الحقوق والواجبات في الحياة المدنية، والأسرية فحسب وإنما خرجت تدعو إلى المساواة في إلغاء الذكورة والأنوثة للرجل والمرأة إذا أرادا، وأصبحت المرأة تعطي لنفسها حرية تقليد الرجل، فيما يلبس، أو فيما يصنعه لنفسه.

ورأينا جهوداً إعلامية، تعلن عن أن امرأة غيرت نفسها من جنس إلى آخر، عن طريق الهرمون وذلك بالعمليات الجراحية المتكررة. وزادت الحركات الصهيونية في تشويه الوجود الإنساني، مبتدئة، بالسعي إلى إصدار القوانين، وتقرير شرعية مساواة الطفل غير الشرعي بالطفل الشرعي، تشجيعاً للزنا وحثاً عليه، وقد نجحت في ذلك تماماً في البلاد الإسكندنافية، ثم إباحة المعاشرة الجنسية في غير علاقة زوجية، أي في علاقة الصداقة أو ما يسمونه بزواج المجموعات أو ما يتفق عليه في تبادل الزوجات، فضلاً عن إباحة العري في النوادي وكان ذلك في عام ١٩٦٩م حينما فتح أول معرض عالمي للجنس في كوبنهاجن في الدنمارك.

ثم تجيء الدعوة إلى إباحة اللواط والسحاق ويصل الأمر إلى عرضه على البرلمانات ودور القضاء. ومن يقرأ البروتوكولات سيجد فيها أخطر من هذا، حيث يتضمن عقيدة غريبة ترغب في تدمير العالم والسيطرة عليه، فتقول الكاتبة الصحفية «سعاد منسي» في الكتاب الذي جمعت فيه بروتوكولات صهيون:

«إن المصادفات وحدها، هي التي جعلت هذا المخطط الخطير يقع في قبضة آخرين وعندما اطلعوا عليها، أصابهم الذعر، وخافوا على مصير العالم من شدة خطورتها، فهربوا بها إلى دولة ثانية، وهناك سلموها لآخرين، سافروا بها بدورهم إلى

دولة ثالثة، حيث ترجمت إلى أكثر من لغة.. آخرها اللغة العربية ونشرت منذ أكثر من ثلاثين عاماً في مصر» وأن إسرائيل ملتزمة التزاماً حرفياً بهذه النصوص وتعمل على تطبيقها بدقة.

ونقدم هنا بعض نصوص «بروتوكولات صهيون» التي تكشف خفايا ونوايا الصهيونية وخاصة فيما يخص السلام.

- لن نمنحهم السلام حتى يعترفوا علناً وبقلب خاشع بحكومتنا العالمية العليا.

ونرى تطبيق ذلك عملياً بعد مؤتمر القمة العربية، الذي عقد في بيروت في ٢٥ مارس ٢٠٠٢م، حيث اعترفت الدول العربية ومازالت تعترف بكل ما تريده إسرائيل، التي تنقض أي اتفاق سلام. حين أعلنت عن موقفها صراحة واجتاحت القوات الإسرائيلية في ٢٩ مارس الأراضي الفلسطينية أي بعد أربعة أيام من المؤتمر، ومازالت في سياسة الاجتياح ولا تعترف بسلام.

وكأن إسرائيل تعلن عملياً رفضها للمفهوم العربي لعملية السلام، إذ أعادت احتلالها لمدن الضفة الغربية، وحاصرت الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات لعدة أسابيع في مقره بمدينة رام الله، ودمرت مخيم جنين للاجئين بالدبابات والجرافات، وقتلت العشرات من أبنائه وأطفاله، واعتقلت آلاف الفلسطينيين، وجرفت الأراضي الزراعية وقطعت الأشجار، ولوثت البيئة، وحاصرت كنيسة المهد مدة ٣٨ يوماً.. ووصفت إسرائيل هذه العمليات بأنها حرب مع الفلسطينيين للدفاع عن نفسها.

أسمت هذه العملية بـ «الجدار الواقي» مرة وبـ «كرة النار المتدحرجة» مرة أخرى وهذه عادة عندها، حيث تسمى مثل هذه العمليات بأسماء درامية مثل «عناقيد الغضب»، «جهنم». أو «رياح السماء» وهي اسم عملية القرصنة على أسطول الحرية في ٣١ أيار /مايو ٢٠١٠. وغير ذلك من الأسماء التي لا تصلح إلا للأفلام الشريرة، التي تمولها الصهيونية الأمريكية، التي تقوم على القتل وإشعال الحرائق وإثارة الفتن والأحقاد.

حدث كل هذا على مدى ٣٥ يوماً أمام مسامع العالم وبصره فلم يتحرك أحد. لا حكومات عربية ولا حكومات أجنبية احتجت إلا أصوات المواطنين العاديين في كل بقاع الأرض.

ونرى قمة انحياز «الغرب والأمريكان» إلى العنف والإرهاب الإسرائيلي الغاشم.. حين استخدمت أمريكا حق الفيتو في مجلس الأمن لمنع صدور قرار بإدانة إسرائيل وزار مسؤولون أمريكيون المنطقة مثل «ديك تشيني» نائب الرئيس الأمريكي السابق و«كولن باول» وزير الخارجية الأمريكي في عهد بوش الابن وكان ذلك تأييداً لموقف إسرائيل وإلصاق التهم بأصحاب الأرض المظلومين المشردين، وشهد العالم كيف تحول المناضلون حسب المفهوم الأمريكي الإسرائيلي إلى «إرهابيين» وقتلة تمارس عليهم ما لم يمارسه النازيون في القرن العشرين، ونيرون، وهولاكو في القرون السحيقة.

وهذا يفسر مدى الارتباط الشديد بين أمريكا وأيديها القذرة إسرائيل، ولذلك ازدادت إسرائيل تبجحاً؛ إلى درجة أن الأمين العام للأمم المتحدة تراجع عن موقفه بإرسال «لجنة تحقيق دولية» إلى إسرائيل، لإعداد تقرير يكشف الحقائق عن «مذبحة جنين» وذلك استجابة لرغبة أمريكا في عدم إرسال تلك اللجنة.

ووقف العرب مكتوفي الأيدي بينما غرق الإعلام العربي ومشاهدوه في متابعة شرائط الفيديو كليب بكل أنواعها وغرائبها في الوقت الذي تجتاح المنطقة تلك الحوادث الدامية بعد عشر سنوات من المفاوضات، منذ مؤتمر مدريد ١٩٩١م وبعد اتفاق أوسلو ١٩٩٣م، واتفاق القاهرة ١٩٩٤م، ودخول ياسر عرفات ورجاله قطاع غزة، وفقاً لهذا الاتفاق الذي أثار خلافات عربية وفلسطينية، وكان اسمه في البداية «غزة أريحا» أولاً.. وعلق بعضهم بسخرية على ذلك (غزة- أريحا أولاً وأخيراً)، وجرت المفاوضات، ووقعت اتفاقيات مرة في واشنطن وأخرى في طابا، وثالثة في واي ريفر بأمريكا، ورابعة في شرم الشيخ.. وفي كل مرة تتراجع إسرائيل عن تنفيذ ما اتفقت عليه، ولم تسمح إسرائيل للفلسطينيين بإنشاء ميناء غزة، أو فتح المعابر

واستيراد السلع من الأردن، أو مصر أو أي بلد آخر وأصبحت مناطق السلطة الفلسطينية سوقاً محتكرة للإسرائيليين.

كما عملت إسرائيل على إثارة الفتن بين السلطة الفلسطينية والفصائل الفلسطينية الأخرى من حماس وفتح والجهاد والجبهة الشعبية.

وزاد نشاط العملاء وتزايدت عمليات الاغتيالات ابتداء من حادث مقتل « د. هاني عابد» عام ١٩٩٥م بخان يونس.. حتى اغتيال قادة حماس بدءاً من عماد عقل، ثم يحيى عياش قائد كتائب عز الدين القسام عام ١٩٩٥، وبعد ذلك مؤسس حماس وزعيمها الشيخ أحمد ياسين، وبعده بأيام الدكتور عبد العزيز الرنتيسي الذي اختير خلفاً للشيخ أحمد ياسين. وغير حماس، طالت التصفية الجهاد الإسلامي بشخص قائدها فتحي الشقاقي، ثم قائد الجبهة الشعبية أبو علي مصطفى. وغيرهم كثيرون وبحر المنايا متلاطم.

وأورد أن أذكر هنا أن ثمة استخفافاً شديداً بالدم العربي، ذلك أنه بعد اغتيال القيادي في حماس محمود المبحوح سمعنا تصريحات وتبجحات وعنجهيات صهيونية، إذ إن «الصَنْدي تايمز» نقلت عن وزير الدفاع الصهيوني الأسبق «بنيامين بن أليعازر» أن اغتيال المبحوح جاء بموافقة تامة، ومباركة من رئيس الوزراء نتن ياهو، حتى إنه دعا للمنفذين بالتوفيق، وأضاف بن أليعازر: «نحن لا نخشى العواقب الدولية، ولم يكن أحد يتوقع أن يكون ردُّ الفعل العالمي هادئاً قياساً إلى حدث بمثل هذه المأساوية، لذلك يجب المضيُّ إلى الأمام، وخلال ستة شهور لن يتحدث أحدٌ بالموضوع، وسيكون كل شيءٍ على ما يرام..».

والحوادث الدامية التي يغفل عنها الإعلام بأنواعه المختلفة التي شهدتها الأراضي الفلسطينية في إبريل عام ٢٠٠٢م لم تحدث فجأة، بل إنها نتاج تخطيط منذ ما يزيد على مائة عام، ولم تهدأ بقيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، بل زادت نتيجة الأطماع التوسعية لدى إسرائيل التي هي في الواقع قاعدة عسكرية، بسكانها وجيشها.. زرعها الغرب في منطقة الشرق الأوسط، وورثتها أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، ثم سرعان ما توحدت فيها، ولم يعد هناك فرق بين إسرائيل وأمريكا.. وهذا ما تؤكده

الأوراق والوثائق الصهيونية التي تركها فلاسفة الحركة الصهيونية وحكماؤها، فالبروتوكول «الأول» يحدد طبيعة الحكم وأصول العمل السياسي فيقول:

«إن أفضل طريقة للحكم هي العنف والإرهاب وليس النقاش الأكاديمي».. وهذا يطبق ليل نهار على المنطقة وتفرض أساليب العنف والقتل والتشريد ولا تنصت للأسلوب التفاوضي المحترم ثم يقول: «إن الحق يكمن في القوة ». ومن طرائف ما يروى عن المقبور بن غوريون أنه قال عندما زار منطقة الجليل في الستينيات ودُهل من رؤية القرى العربية القائمة فسأل مرافقيه: هل نحن في سورية أم في إسرائيل. أي أنه يريد القول لا أريد أن أجد فيها عربياً واحداً. ولكن هيهات لم يقدر هو على ذلك، ومن جاء بعده عجز، ومن سيأتي سيعجز عن تأمين مليون تابوت لعرب داخل فلسطين المحتلة، لأنهم سيطلبون الشهادة ولن يرحلوا.

وهنا لا تعترف بحقوق الآخرين ولكن أسلوبها هو التسلح بأبشع أنواع القوة والإجرام، فحقهم يكمن في قوتهم وشعارهم «أعطني ما أريد لكي أبرهن لك أني أقوى منك».. وخير دليل على هذا ما حدث في غزة ٢٠٠٩م من تدمير وقتل بأفتك أنواع الأسلحة المحرمة دولياً تحت سمع وبصر الولايات المتحدة الأمريكية والعالم المتحضر.

ومن أبشع البروتوكولات الصهيونية.. ما يلي:

- سنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم، ولذلك سيكون من اليسير أن يُمسخوا كقطع الشطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء والحكماء الذين دربوا خصوصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة.

- فنحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر. هذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً عن كل من يصدوننا عن سبيلنا.

ـ وفي كل أوروبا وبمساعدتها، يجب أن ننشر في سائر الأقطار.. الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة لأن في هذه فائدة مزدوجة: فبهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد، مع قدرتنا على إعادة النظام. وثانياً فبالمكائد والدسائس سوف نصطاد الجميع ولكي نصل إلى هذه الغايات، علينا أن نعمل بكثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات.

ـ لقد خدعنا الجيل الثاني من العوام وجعلناه جيلاً فاسداً متعفناً، بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام.

ـ نستطيع أن نقذف بقوة رهيبة سوف ترتعد لها فرائص أشجع الرجال هولاً ورعباً.. وعندئذ ستقام الخطوط الجديدة الكهربائية والطرقات الممتدة تحت الأرض، ومن هذه الأنفاق الخفية سننسف ونفجر كل مدن العالم ومعها أنظمتها وسجلاتها جميعاً.

ـ اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا، نحن الذين نعطيهم المال، لقاء سمعهم وطاعتهم، وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبداً أن تتخذ أي قرار من دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها.

ـ إن حكمنا سيبدأ في اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات، وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم وهذا سيكون مدبراً على أيدينا فيصرخون هاتفين: «اخلعوهم، وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يوحدنا، ويمحق كل أسباب الخلاف».

ـ سنريد من الناس أن يفهموا أننا استحوذنا على كل شيء أردناه، وأننا لن نسمح لهم في أي حال من الأحوال أن يشاركونا في سلطتنا، وعندئذ سيغمضون عيونهم عن أي شيء بدافع من الخوف وسينظرون في صبر تطورات أبعد.

وهنا يتضح من أفاعيل الصهيونية أنهم يرددون بمناسبة وغير مناسبة كلمات الحاكم العالمي، القوة، العنف، وذلك لتطويع الآذان والعقول على تقبل هذا الوضع عندما تحين الساعة.

ومن البروتوكول «السابع عشر»:

وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة في طريقنا، وأن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً.

اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية، انهياراً تاماً، وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى.

وحينما يحين لنا الوقت كي نحطم «البلاط البابوي» تحطيماً تاماً، فإن يداً مجهولة، مشيرة إلى «الفاتيكان» ستعطي إشارة الهجوم.. ولم نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم إعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة جديدة ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة، بل سنحاربها عن طريق النقد الذي كان وسيظل ينشر الخلافات بينهم.

وقد علقت على ذلك الكاتبة سعاد منسي في كتابها «انتبهوا البشرية في خطر» قائلة: «إن ما ورد بهذا البروتوكول عن التآمر على الفاتيكان قد تم تنفيذه فعلاً، وهم يحيطون بمقر الفاتيكان وبالبابا إحاطة السوار بالمعصم.. فالتاريخ الحديث يسجل ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

- «إصدار وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح عام ١٩٦٥م تقريباً التي حدثت في ظروف مفاجئة مريبة، أذاعتها صحيفة أمريكية صهيونية الميول، قبل أن تعرض على مؤتمر الفاتيكان، وقد كانت أصابع زعماء الصهاينة خلفها، وقامت حولها ضجة وأثارت استياء ودهشة في الأوساط المسيحية وغيرها، ثم تنصيب البابا يوحنا بولس الثاني البولندي الأصل، ثم محاولة تجريده من مظاهر القداسة البابوية بجعله يتجول في الدول لأول مرة في تاريخ الفاتيكان تقريباً، متحدثاً في السياسة وليس بالدين، وبالطريقة واللغة السياسية التي يريدونها، ثم حادث قتله، معنوياً ومادياً.

إذ إن وسائل الإعلام التي يسيطرون عليها، من صحف ووكالات أنباء تنفذ المخطط بدقة وبطريقة مدروسة، وكان جزءاً لا يتجزأ من الخطة، أن يكون في اسم القاتل كلمة «محمد» حتى يكون القاتل وهو ظاهرياً مسلماً.

ولكن تحقق له ما أرادوا، فإن كان البابا نجا شكلاً من مؤامرة قتله فالمطلوب أن يظل صامتاً.

فمنذ اللحظة الأولى للحادث انتهت سيطرته على البابوية وظل عدة شهور معزولاً عن العالم وعن شؤون البابوية خلال معالجته وخلال جراحتين قضاها في حالة تقرب من الموت.

وطبعاً المنقذون في داخل الفاتيكان من أصول يهودية، في أثواب ودرجات مسيحية!!».

وتؤكد الكاتبة في المرجع نفسه سر نجاح الصهيونية العالمية في توجيه العالم نحو الدمار، إن من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها الدول، ووقع فيها المثقفون والكتاب أنهم قسموا أخطار الصهيونية إلى جزئيات متناثرة ومتفرقة، ولم ينظروا إليها ككل واحد لا يتجزأ.

فالفلسطيني لم ير فيها إلا الخطر على فلسطين، والعربي في أماكن أخرى من العالم العربي توجس الخطر، من اللافتة المعلقة فوق مبنى «الكنيست» أي البرلمان الإسرائيلي التي كتب عليها «إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات».

والمؤسسات والأجهزة الدينية الإسلامية لم تر فيها إلا خطراً على القدس وعلى الحرمين بينما رأت ألمانيا وحكامها فيها.. خطراً على ألمانيا كدولة.

الفصل الثالث

تقزيم العقل العربي

وهكذا انقلب المخطط الذي أعد بإتقان على مدى قرون ليشمل العالم كله كوحدة لا تتجزأ.. إلى مسائل إقليمية محدودة الأثر، بل إنها وصلت إلى بعض السذج من القادة والمفكرين والحكام، إلى أنها مسألة أشخاص وأفراد، ففلان صهيوني متزمت، بينما فلان معتدل متجاوب...

وبهذه النظرة الساذجة، ضاعت المعالم الرئيسية للمخطط الشامل الخطير، في تمثيلية قاموا بها فيما بينهم على طريقة تقسيم الأدوار وانشغلنا بمراقبة التمثيلية، وخرجنا من حلبة التفكير.

وأسلوب الصهاينة في تنفيذ مشروع حلمهم الإمبريالي المفزع، لإهلاك الشعوب والسيطرة عليها، إنما يمتد إلى كل الجوانب في حياتنا على الإطلاق، فالموسيقى التي نسمعها في بلادنا، وما نراه ليل نهار في الفضائيات المختلفة حتى المحلية منها، ما هو إلا أسلوب مدروس لتغييب العقول عن القيمة، وبالتالي تسهل قيادتهم، وأصبحنا الآن نسمع بالأقدام وفسدت العقول، وقد حذر من هذا اليوم الفنان الراحل الموهوب محمد عبد الوهاب منذ ثلاثين عاماً، عندما قال: «أخشى اليوم الذي نسمع فيه بالأقدام وليس بالعقول».

فأصبح ما نراه على شاشتنا، وفي وسائل إعلامنا على مختلف أجهزتها عرياً شاذاً مدسوساً للتآمر علينا، وتدمير نفوس شبابنا، وتقزيم عقولنا وإحساسنا بعدم الريادة في كل الفنون الراقية.. ابتدعوا الموسيقى الصاخبة بوساطة أعوانهم من الملحنين والموسيقيين والعازفين في العالم.

ومن الثابت علمياً وطبياً أن هذه الموسيقى الصاخبة، تؤثر في أنسجة وخلايا معينة في المخ، فتحدث بها اضطرابات نفسية وعصبية قد يمتد أثرها في الفرد إلى

ستة أشهر، وما أدراك ما مدى تأثير الفيديو كليب بأنواعه المختلفة في العقول والنفوس والآذان والعيون أيضاً.

وما نراه من أزياء غريبة وبشعة تجتاح إعلامنا وشبابنا التي يتلقاها على أنها صيحات الموضة العالمية، ويقلد ذلك تقليداً أعمى، وقد تكون فوضى مقصودة، وهي خطط مدروسة تنفذ إلينا عبر الإعلام شيئاً فشيئاً، حتى تعتادها العين والنفس أيضاً، ويتحول شبابنا مصنعاً كبيراً للإعلان عن مصنوعات الصهيونية مجاناً باعتبارها آخر صيحة في (الموضة).

وما رأيناه في مجموعة الشباب الذين أطلقوا على أنفسهم (عبدة الشيطان) الذين كانت ملابسهم غريبة وشاذة، علاوة على أجسادهم المشوهة برسومات ووشوم إباحية غير أخلاقية تمجد الهبوط النفسي والخلقي، بالإضافة إلى إدمانهم على أنواع معينة من المخدرات والخمور والرقصات الخليعة الشاذة، بالإضافة إلى شباب مهترئ النفس والشكل، يفترش الميادين أو بعض الأحياء في بعض الدول العربية وغيرها، يطلقون شعورهم، ولا يغتسلون، يقطعون الوقت بلا هدف، ويتعاطون المغيبات بحجة أنهم يرفضون نظام مجتمعاتهم، ويعلنون الاحتجاج بهذا الأسلوب كالهيبز وغيرهم.

إن العمل السياسي عند أتباع الفكر الصهيوني لا يقوم على الأخلاق، واحترام العهود إذ لا علاقة للسياسة بالأخلاق قط، وهذه النصوص سالفة الذكر، تفسر لنا لماذا أخفقت المفاوضات الفلسطينية في التوصل إلى حل... حتى الآن بداية العام ٢٠١١م.

إن الخطأ هنا يكمن في سوء الفهم الذي يختلط على العقلية العربية منذ الربع الأخير من القرن العشرين، وهو الاعتقاد بأن المفاوضات مع إسرائيل قد تؤدي إلى التوصل إلى السلام، وهذا في الواقع وهم كبير، فإسرائيل ليست دولة طبيعية أو سوية كي يتم التعامل معها بالنصح والمنطق..

إن المرء ليشعر بالأسى، ويدرك كم يحمل هؤلاء العرب من السذاجة عندما يقنعون أنفسهم بالسلام مع إسرائيل، ويعقدون معها اجتماعاً تليه مفاوضات وهكذا، والعرب بذلك لم يقتنعوا بنص من نصوص إسرائيل في بروتوكولاتها، والذي يؤكد «لن نمنحهم السلام حتى يعترفوا علناً وبقلب خاشع بحكوماتنا العالمية العليا».

إن من يتابع تطورات الحوادث والتنازلات التي يقدمها الجانب العربي عاماً بعد عام، ويوماً بعد يوم، يخشى أن تؤدي هذه التنازلات إلى ما تحلم به الصهيونية، وهو الاعتراف علناً وبقلب خاشع بحكومتها العالمية العليا، التي بطبيعة الحال تتخذ من «واشنطن» عاصمة لها، فالولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تسيطر على العالم، وتتحكم فيها برؤية استعمارية، وبرنامج صهيوني، بعد أن نجحت الصهيونية في اختراق الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩١٤م، وانتشار المسيحية الصهيونية فيها، وأصبح من الصعب الآن أمام ما نشهده من حوادث، ألا نفرق بين أمريكا وإسرائيل فيما يتعلق بالنظرة لمنطقة الشرق الأوسط، وهما خدعتا العالم بنظرية جديدة مغزاها «إن مقاومة الاحتلال إرهاب» مستغلتين في ذلك حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، الذي تعرضت له مدينتا نيويورك وواشنطن.

ومن المؤكد والمعروف أن ما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، هو من صنع إسرائيل شكلاً ومضموناً، وللأسف الشديد إن المستفيد الأوحد منه إسرائيل، تمَّ إلصاق التهمة النكراء بالمسلمين، والعجز الإعلامي العربي يقف مكتوف الأيدي مردداً ما تشيعه الصهيونية من إعلام صهيوني متسع النطاق، وننسى أننا ضحايا أولاً وأخيراً، وندور في المتاهة التي خططتها الصهيونية ونفذتها باقتدار.

ولكن دعونا نسترجع التاريخ لنرى صنائع الصهيونية المتكررة، وتكاد تكون متشابهة لتنفيذ مخططاتها وحلمها في السيطرة على العالم، إلا أن إعلامنا وبكل أسف لا يربط الماضي بالحاضر، ولا يفسر هذه الحوادث مستنداً لوثائق التاريخ.. في الماضي كانت بريطانيا هي التي منحت الصهيونية وعد بلفور، وهي التي دعمت إسرائيل ومكنتها من البقاء في فلسطين، وساعدتها في حرب ١٩٤٨م، ثم كانت أمريكا هي الدولة الأولى في العالم التي اعترفت بإسرائيل بعد إعلانها بدقائق، ثم جاء الاتحاد السوفييتي باعترافه بعد أمريكا مباشرة، ثم جاءت بريطانيا وفرنسا لتشنا حربهما على مصر بالتعاون مع إسرائيل بما سمي وقتها بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م.

صرح أحد قادة الاستخبارات الإسرائيلية مؤخراً أن إسرائيل أسهمت في العدوان على مصر جراء وعود تلقتها من فرنسا بأن تساعد الأخيرة الكيان الصهيوني في البدء ببرنامجها النووي العدواني.

ثم جاءت الولايات المتحدة الأمريكية بعد انسحاب القوات الغازية عام ١٩٥٧م، لتعلن سياستها في المنطقة على لسان (جون فوستر دالاس) وزير خارجيتها آنذاك وهي سياسة ملء الفراغ في الشرق الأوسط، ومن هنا تشابكت المصالح الأمريكية والإسرائيلية وأصبحت وجهان لعملة واحدة، وتم الإيقاع بمصر والنيل منها في عام ١٩٦٧م. ومن ثم نرى الإعلام الغربي وخاصة الإسرائيلي يعمل ليل نهار على الإيقاع بالعرب باحثاً عن جوانب الضعف العربي، إذ يركز الجانب الإسرائيلي على الفعل والتنفيذ ليستفيد من كل حدث، بينما يركز الجانب العربي على ردود الفعل، فالجانب الإسرائيلي يخطط ويرسم ويختلق الفتن والاضطرابات والقلق منذ أكثر ما يزيد على عام، ومن ذلك الزمن كل شيء تخطط له إسرائيل من خلال هدف واحد هو إقامة دولة على أرض الآخرين، ومطلوب أن تستمر هذه الدولة وتقوى وتتطور.

وهناك ملاحظة مهمة وهي أن الجانب الإسرائيلي يهتم بالرمز والموضوع، بينما يركز الجانب العربي على «الفرد»، ففي كل الدول العربية يكون الالتفاف حول الفرد أو الحاكم، بينما يلتف كل إسرائيلي حول «العلم الإسرائيلي» في كل مكان بدءاً من محطة الوصول في المطار أو الميناء أو نقطة الحدود، إلى الشوارع والأزقة، وعلى السيارات، بينما تختفي صورة الفرد مهما كانت قيمته.. ويعد «هرتزل» هو الرائد الأول للحركة الصهيونية، و«أشير جنسبرج» الذي عُرف باسم «أحاد هاعام».. هو زعيمها الروحي، و«حاييم وايزمان» هو محركها السياسي، بالإضافة إلى ظهور كثير من المفكرين اليهود الذين اعتنقوا النظرية الصهيونية، وروجوا لها مثل «ماكس تورود» الذي يرى أن اليهودية إما أن تكون صهيونية أو لا تكون.

وعُرف عن الصهيونية دورها المزدوج لصالح أهدافها في إقامة دولة إسرائيل في قلب الشرق الأوسط بهدف السيطرة على المنطقة، ثم السيطرة على العالم من خلال السياسة التي درج عليها اليهود وهي التدخل في الشؤون الداخلية، كما حدث في

مصر، وفي بولندا في القرن السادس عشر، وفي روسيا، وأوروبا، ثم أخيراً في أمريكا، وفي فرنسا ثار اليهود وتآمروا على الجنرال شارل ديجول بسبب موقفه العادل من عدوان ١٩٦٧م، على الدول العربية.

إن ملكية الصهيونية لوسائل الإعلام والرقابة الصهيونية عبر آلة مراوغة، تجعل الصهاينة في الحقيقة والواقع رقباء على الأخبار، والافتتاحيات السياسية، في الجرائد اليومية، والمجلات الإخبارية، وكذلك على محطات وشبكات الراديو والتليفزيون والقنوات الفضائية، وصناعة السينما بأسرها، والحفلات ونشر الكتب ووكالات الأنباء، يوضح الدور الإعلامي اليقظ للصهيونية لأن السيطرة على العقول والوجدان لا تكون إلا بهذه الوسائل، ونتيجة لذلك فإن الشعب الأمريكي على مدى الخمسين عاماً الماضية وحتى الآن يقرأ ويسمع ويرى ما صورته فقط الصهيونية؛ وهذا واضح في «قائمة شندلر» وهو فيلم أمريكي لأهم مخرج أمريكي يهودي وهو «ستيفن سبيلبيرغ» والفيلم يستند إلى قصة روائية مع هذا يأخذ شكل الفيلم الوثائقي، ومن الطبيعي أن الإعلام المتخصص وعلى النقاد الفنيين المتخصصين أن يدركوا مغزى «قائمة شندلر» ووضعه في سياقه الحقيقي ومن مفرداته المهمة التي يجب أن توضح لكل من يشاهده: أن الفيلم للمخرج سبيلبيرغ وهو أمريكي يهودي «وليس يهودياً أمريكياً».

ومعنى ذلك أنه من اليهود الجدد تمييزاً لهم عن يهود أوروبا.

وهو عموماً من أهم المخرجين الذين لهم تأثير فني ويستغل هذه الشهرة في توصيل الرسالة التي يريدها من خلال الفن.

وكان هذا واضحاً عند مشاهدة هذا الفيلم عندما ركز على أن النازيين كانوا يقتلون اليهود لا كرهاً فيهم أو حقداً عليهم وإنما لأنهم كانوا غير نافعين، ولذا كان لإيجاد النافع منهم أي كل ما يمكن توظيفه أو تسخيره في خدمة الاقتصاد الألماني.

ولكن الرسالة الإعلامية الحقيقية من وراء هذا الفيلم «قائمة شندلر» رسالة صهيونية كاملة تتنافى مع مضمون الفيلم الفكري، وتتضح الرسالة الصهيونية بشكل متبلور في نهاية الفيلم الملون.. بل وتتغلغل أيضاً في بنية الفيلم وفي شخصياته، وقد

بيَّن الفيلم كيف يركز الإعلام بقوة على فكرة مسمومة يريد أن يوصلها بأدوات جذابة وخادعة ومؤثرة كما فعل في «قائمة شندلر».. بدلاً من رؤية الجريمة النازية باعتبارها جريمة حضارية نفعية مادية ضد البشر، فإنها تعمم للغاية أو تخصص فتصبح بالنسبة للحضارة الغربية جريمة الألمان الأشرار وحدهم ضد اليهود وحدهم.. «شيء خاص» للغاية ومجرد حادثة عرضية أما بالنسبة لليهود فتصبح جريمة الأغيار كلهم ضد اليهود كلهم.

وكيف يجسد الفيلم احتكار اليهود وهم في كل الأحوال يمثلون دور الضحية؟ كيف توظف الرؤية الصهيونية ليتعاطف معها كل من يشاهد الفيلم.. وتفرض الأكاذيب في وقت تهدر دماء الأبرياء في كل من فلسطين والبوسنة والهرسك والعراق وأفغانستان والسودان وهناك من يبكي ويتباكى على ضحايا النازية.

إعلام استهلاكي

رأينا قدرة الإعلام الإسرائيلي في توظيف ما يراه يخدم أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، فهناك منهجية لكل الإعلام الإسرائيلي بكل وظائفه؛ كي ينجح في تحقيق أطماعه في غياب الإعلام العربي والإسلامي.

ويجسد تلك الفكرة ما نراه في المؤتمر الدولي الأمني السنوي في مدينة ميونخ الألمانية، عندما صافح «داني أيالوي» نائب وزير الخارجية الإسرائيلي خلال المؤتمر الأمير «تركي الفيصل» رئيس المخابرات، والسفير السعودي السابق لدى الولايات المتحدة.

وقد أعلن الأمير أن المصافحة لا تعني اعتراف السعودية بإسرائيل، وأكد الأمير أن المصافحة لم تتم إلا بعدما قام الأخير بالاعتذار من الإساءة للمسؤول التركي. وشدد بيان أصدره الفيصل على ضرورة ألا يتم إخراج هذه الواقعة من إطارها أو إساءة فهمها.

وقال إن إدانته لسياسات إسرائيل ضد الفلسطينيين مازالت كما هي، وقال: إن على الإسرائيليين ألا يتوهموا بأن السعودية ستعطيهم ما يرغبون به وهو الاعتراف الإقليمي.

والإعلام العربي وقف صامتاً أمام هذه الآلية التي حاول الإعلام الإسرائيلي توظيفها لمصلحة أهدافه وخططه، وهنا نقول إنه يجب على إعلامنا التيقظ والمبادرة بصد الهجمات الإعلامية التي تنتشر في كل أرجاء العالم لتبث سموماً من كل نوع.

ولكن هنا نتساءل: أين دور الإعلام العربي والإسلامي ليكشف ويجسد مذابح إسرائيل في كل مكان في العالم، بل ونتساءل أين الإعلام الفلسطيني ودوره في فضح الممارسات الصهيونية، ولماذا الإعلامي الفلسطيني منقسم إلى ثلاثة أقسام، فنجد إعلامياً فلسطينياً ناطقاً حزبياً باسم السلطة أو الحزب الذي موله، أو إعلامياً مرتبطاً بأجندة خارجية أجّر فيها قلمه وكاميرته إلى تلك الأجندة. أو إعلامياً معتزلاً مترفعاً في برجه العاجيّ. ولذلك نجد تحليلاً لذلك الواقع كتبه «ماجد هديب» في مقالة «الإعلامي الفلسطيني مجرم أو ضحية» في العرب نيوز في الأول من آذار /مارس ٢٠١٠ فيقول: «المعلوم أن أصل الجرائم هي أفكار تخريبية، فإذا ظلَّ الإعلامي الفلسطيني يروج لأفكاره التخريبية عبر الوسائل الإعلامية التي ينتمي إليها على اختلاف مسمياتها وأيديولوجياتها، فإنه يصرُّ بذلك على بث الجريمة، بل وإيصالها إلى أعلى مستوى حتى ينتج عنها كوارث أمنية تهدم ما تبقى لنا ليس فقط من سيرة قضية، وإنما حتماً من قيم أخلاقية، وعليه فإن أسئلة كثيرة وملحة تطرح نفسها عند النظر إلى المشهد الإعلامي الفلسطيني والغوص فيه، وهي في حاجة إلى إجابات تحاول الوصول إليها سواء من هؤلاء الذين انتزعوا ألقابهم بجدارة وإبداع، أو حتى من هؤلاء الذين انتزعوها بقوة الميليشيات التي ينتمون إليها، أو في ظل سطوة الأحزاب التي يرتدون عباءتها».

يجسد نزيف الدم الفلسطيني والعراقي والصومالي والسوداني ثم اليمني أخيراً، والذي يشاهده العالم اليوم وكل يوم من خلال الفضائيات المتنوعة هو نزيف عربي غال.. بالإضافة إلى نزيف العقل العربي والإسلامي، الذي تهدر قيمته بالسطحية

والفضائيات الاستهلاكية مع انتشار أمية متعمدة: أمية العين والإحساس والقلب والعقل.. أمية من كل نوع وإعلام غير واع بدوره.. إعلام تجاهل علماء عرب ومسلمين كان لهم دور بارز في تشييد الحضارة من أمثال الخوارزمي – ابن سينا – الحسن بن الهيثم – الإدريسي ... إلخ.

عرب لهم وزن وقيمة في الحضارة الإسلامية.. حضارة تقدر قيمة العلم والمعرفة فكان المأمون الخليفة العباسي يمنح كل من ألف كتاباً أو ترجم مخطوطاً علمياً وزنه ذهباً. أين الإعلامي السياسي من إبراز دور حضارتنا وعلمائنا.. وكيف كانت المساهمات في كل أنواع العلوم وألوان المعرفة؟.. لقد توقف «الإعلام العربي» عن دوره الأساسي وأصبح مرفوعاً من الخدمة. وهذه المسألة لخصها الباحث صلاح حميدة في موضوع مميز هو: «استقالة الإعلام العربي» حيث خلص إلى القول: «يتبين أن الغالبية العظمة من المؤسسات الإعلامية العربية، وخاصة الفضائية والمكتوبة، تنازلت عن دورها الإعلامي في نقل الخبر ونقاشه، وعرض الرؤى المختلفة من القضايا الحساسة، وتصرّفت بطرق مغايرة لما تعلن أنها تحمله من رسالة للجمهور، وتبين أن سقف الحريات مازال منخفضاً، ويخضع لاعتبارات وحسابات كثيرة، تمنعه من التحرك بفاعلية في القضايا الحساسة التي تهم المواطن العربي، وظهر جلياً عودة صور إعلامية كنا قد نسيناها من قبل، وهي لجوء المواطن العربي إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية، والإعلام العربي المهاجر للحصول على الخبر المفصلي المحجوب، مع أن تلك الوسائل الإعلامية كان بإمكانها مناقشة الموضوع بموضوعية... فهل هي انتكاسة مؤقتة، أم هي استقالة الإعلام العربي».

والدليل على ذلك أن الغرب يعترف بقيمة العقول العربية ومساهمتها في نهضته، فيقول السيناتور إدوارد كيندي أمام الكونجرس في الثمانينيات «إن عوائد وفوائض هجرة العلماء من الدول العربية والعالم الثالث تفوق أضعافاً مضاعفة ما تقدمه أمريكا لدولهم من مساعدات مشروطة»..!!

لماذا لا يتبنى الإعلام السياسي كشف مساوئ ومفاهيم إسرائيل.. نكشف مخططات رموزهم وحقدهم وكراهيتهم للسلام وسعيهم وراء الدمار مثل «أفيجدور

ليبرمان» وزير الخارجية الصهيوني التلمودي الذي يهدد دمشق من داخل جامعة تابعة للتيار القومي الديني في إسرائيل مع الأخذ في الاعتبار أن تلك الجامعة هي نفسها التي خرَّجت قاتل «إسحق رابين».. وهنا مادة خصبة لإعلامنا ليكشف ويبين بالوثائق أن المناخ في إسرائيل مهيأ لإفراز من يقودون العنف الدموي، ونحن هنا نرى ضرورة الاهتمام بطرح وتحليل التوجهات الأيديولوجية للمعسكر المتطرف دينياً في إسرائيل أمام الرأي العام وصناع القرار.

نكشف لهم زيف نواياهم فقد تناقلت بعض المواقع الإخبارية الإلكترونية.. تقريراً بثه التليفزيون الإسرائيلي الخميس ٢٨ يناير ٢٠١٠م عن الموسم السينمائي الجديد في مصر حيث اتهم التقرير الإسرائيلي الموسم السينمائي الجديد في مصر بالغرق في المشاهد الجنسية الفاضحة».

وقال التقرير الإسرائيلي «إن السينما المصرية تشهد هذه الأيام موجة من الأفلام الإباحية التي تفيض بمشاهد جنسية صريحة للغاية.. لم تعرف دور السينما في القاهرة مثلها من قبل».

إلا أن التليفزيون الإسرائيلي رأى في نهاية تقريره أن هذه الأفلام تعبر عن صورة صناع السينما المصريين ضد المحرمات والتوجهات المحافظة التي بدأت تسود المجتمع المصري!؟

ومن هذا التقرير السابق يتبين نوايا الصهيونية.. فلا يمكن لعاقل أن يفهم من هذا التقرير -كما هي بدايته- أن إسرائيل ترفض الرذيلة خوفاً على المجتمع المصري والعربي أو خوفاً على أخلاق المصريين لكن من المؤكد – كما جاء في نهايته – أنها رسالة مسمومة: حق يراد به باطل فهم يريدون تقليب المواطن المصري. على النظام وعلى المجتمع وعلى الفن. ونخرج من كل هذا إلى أهمية كشف كل ما يخططه الغرب وأدواته القذرة لمنطقة الشرق الأوسط.

الباب الثالث

الخطة الصهيونية للشرق الأوسط

- تجزئة الدول العربية إلى وحدات صغيرة على يد إسرائيل فكرة تتردد في التفكير الاستراتيجي الإسرائيلي

الفصل الأول

مخططات صهيونية لتذويب العرب

مشروع «الشرق الأوسط الكبير» الذي يمتد – حسب الأجندة الأمريكية – من إسلام آباد «في باكستان» وحتى الرباط «في المغرب».. هو مشروع يعمل من أجل تمزيق المنطقة العربية والسيطرة الإسرائيلية عليها، فهو مشروع إسرائيلي استعماري يهدف إلى السيطرة والتحكم الكامل في المنطقة، وهنا لابد من التنويه لأهمية دور الإعلام بأنواعه المختلفة، ليكشف عن هذه المشاريع الإسرائيلية الخاصة بالشرق الأوسط، فهي مشروعات تقوم على التزوير وسلب الشرق الأوسط و«الهيمنة» عليه. وهي أساليب مستمرة منذ مدة تقوم على دعاوى باطلة مثل تنمية الشرق الأوسط اقتصادياً؛ وأبرزها مشروع «أبا إيبان» وزير خارجية إسرائيل عام ١٩٦٧م حول إقامة تجمع إقليمي لدول الشرق الأوسط وصولاً إلى مشروع «مارشال الإسرائيلي» المعروف باسم مشروع بيريز للتنمية الاقتصادية في الشرق الأوسط، وكلها تتلاقى وتتعانق مع المشاريع الأمريكية.. كـ «مشروع دالاس» الخاص بإقامة مشاريع ري مشتركة تقوم بها البلدان العربية وإسرائيل، و«مشروع جونستون» الخاص باستثمار مياه نهر الأردن استثماراً عربياً إسرائيلياً مشتركاً، أو «مشروع أيزنهاور» الذي خصص مساعدات مالية إلى الدول العربية من أجل التنمية الاقتصادية مع ربط ذلك بمقاومة الشيوعية، وأخيراً «مشروع بوش» الابن.. الذي ربط تقديم هذه المساعدات بمكافحة الإرهاب، وكل هذه المشاريع وغيرها إنما هي مخططات صهيونية لتذويب العرب في محيط أوسع، بحيث تضيع وتُشوّه الهوية العربية الإسلامية بعد تقزيم عقول أبنائها ورجالاتها. ويسرني أن أقدم في هذا الصدد وثيقتين هامتين أغفلهما الإعلام العربي، ولم يتداولهما بالدراسة وتفنيد ما تحملانه من وسائل خطيرة على الوطن العربي لـ «تفتيته» من أجل أطماع إسرائيل.؟!

الوثيقة الأولى (*)

الخطة الصهيونية للشرق الأوسط

ترجمها من العبرية إلى الإنجليزية وأعدها : شاهاك (**)

نقلاً عن: «خطة إسرائيل في الثمانينيات»

بقلم : أودد زينون

لم تعد سياسة الكيان الصهيوني المرحلية خافية على أحد، فهي تطرح شعارها المرحلي كما تراه ملائماً للظروف المحيطة بها، والمعطيات التي تعتقدها.. وعلى سبيل المثال:

تبنى «حزب العمل» الصهيوني شعار المحراث في يد والسيف في اليد الأخرى، في بداية ممارسة نشاطه على أرض فلسطين، وجعل من هجرة اليهود إلى فلسطين، والعمل في تربتها قدس الأقداس الذي تدعو إليه «التوراة»، وأعلن أن كل يهودي يستطيع الهجرة إلى فلسطين، ومن لا يهاجر إليها يُعَدُّ مارقاً على الدين. وفي عام ١٩٧٧م، سقط حزب العمل وتولى سدة الحكم تكتل «الليكود» الذي يقوده مناحم بيجن، ومنذ ذلك الوقت وبيجن يؤكد أن استيطان الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م، هي قدس الأقداس، ولم تعد الهجرة إلى فلسطين في الظروف الحالية مطلباً أساسياً بقدر ما هو الاستيطان كذلك ولم يعد اليهود الذين لا يهاجرون إلى فلسطين مارقين، بل أصبحوا شركاء في الدولة اليهودية، وينبغي عليهم دعمها، كما يحق لهم إبداء آرائهم فيما يجري داخلها.

وفي المقال الذي بين أيدينا يطرح الكاتب خطة الكيان الصهيوني في الثمانينيات، وهي تقوم على مقولتين أساسيتين في نظر الكاتب:

الأولى: أن الاتحاد السوفييتي طامع في المنطقة العربية، ويخطط للسيطرة عليها، بالإضافة إلى عقيدة السوفييت في إمكانية الحرب النووية وبقائهم في منجى من مخاطرها، وهذا يستدعي من إسرائيل مواجهة هذا الأمر باختيار أصدقائها.

أما المقولة الثانية: فهي نظرة الكاتب إلى الواقع العربي كما يراه أو يتخيله أحياناً.. وهو واقع في نظره تتنازعه الانقسامات الطائفية في الدرجة الأولى، كما تسيطر على معظم سكانه مجموعات مستبدة تتمتع بامتيازات خيالية.

وانطلاقاً من هذا الواقع فإن على الكيان الصهيوني أن يعمل بكل طاقاته العسكرية والسياسية على إنهاء الدول العربية وتجزئتها إلى دويلات طائفية لا حول لها ولا قوة، تدور في فلك الإمبراطورية الإسرائيلية، ويضرب أمثلة بلبنان سوريا والعراق.

ولا يفوت الكاتب أن يشير إلى إخفاق الصليبيين في المنطقة، وكأنه يطرح به درساً على الكيان الصهيوني للاستفادة منه، ويتلخص هذا الدرس في ضرورة السيطرة على المقدرات الاقتصادية في المنطقة حتى تتمكن إسرائيل من البقاء، لاسيما أنه لا توجد قوة في المنطقة مؤهلة للدفاع عنها. وفي هذا المجال فهو يعلن بكل صراحة عن الخطأ الفادح الذي ارتكبته حكومة بيجن عندما قامت بالانسحاب من سيناء بما فيها من نفط ومعادن لا غنى عنها، ويطالب بكل صراحة بالعودة إلى احتلال سيناء من جديد، كما يفتح عينيه بكل جرأة في محاولة للسيطرة على نفط الخليج العربي كذلك.

إن ما ذكره الكاتب من أطماع صهيونية تبدو في نظره قريبة المنال، لم يكن ليفكر فيها لولا الواقع العربي الذي يراه مفككاً ولكنه يحمل بين طياته كل مظاهر القوة، ومن هنا فإن المقال جدير بالقراءة ويستحق أن يطلع عليه كل مسؤول عربي، فالأمر لا يحتاج إلى أكثر من نفي المقولات التي اعتمد عليها الكاتب من خلال عمل عربي جماعي موحد ولو إلى حين.

تقــديــم:

تمثل المقالة التالية في نظري الخطة المفصلة والدقيقة للنظام الصهيوني «نظام شارون وإيتان» الحالي للشرق الأوسط، وهي الخطة القائمة على تقسيم المنطقة بأكملها إلى دويلات صغيرة، وإنهاء جميع الدول العربية القائمة، وسوف أقوم بالتعليق على الجانب العسكري في هذه الخطة في ملاحظة ختامية (في نهاية المقال). أما في هذه المقدمة فإنني أود أن ألفت نظر القراء إلى عدد من النقاط المهمة:

١- إن الفكرة القائلة بأنه ينبغي تجزئة جميع الدول العربية إلى وحدات صغيرة على يد «إسرائيل» فكرة تتردد مراراً وتكراراً في التفكير الاستراتيجي الإسرائيلي، وعلى سبيل المال فها هو «زيف شيف» المراسل الحربي لصحيفة هاآرتس (والذي ربما كان أكثر الناس اطلاعاً في إسرائيل على هذا الموضوع) ها هو يكتب حول أفضل ما يمكن أن يحدث في العراق ومن شأنه أن يحقق مصالح إسرائيل هناك قائلاً: «إن ذلك يتم من طريق تجزئة العراق إلى دولة شيعية وأخرى سنية، وكذلك فصل المنطقة الكردية، والواقع أن هذا الجانب من الخطة (الصهيونية) جانب قديم جداً.

٢- إن العلاقة القوية (بين ما جاء في هذه الوثيقة) والتفكير المحافظ الجديد New Conservative thought في الولايات المتحدة الأمريكية علاقة بارزة جادة وبخاصة في الملاحظات التي يقدمها الكاتب في نهاية المقال، ولكن في الوقت الذي نقرأ فيه التعلق الكاذب حول فكرة (الدفاع عن الغرب) ضد القوة السوفييتية، نجد أن الهدف الحقيقي للكاتب، وكذلك الهدف الحقيقي للمؤسسة الإسرائيلية الحالية واضح كل الوضوح، ويتمثل في تحويل إسرائيل الإمبريالية إلى قوة عالمية، وبعبارة أخرى فإن هدف «شارون» هو خداع الأمريكيين بعد أن خدع الآخرين جميعاً.

٣- من الواضح أن الكثير من المعلومات المتصلة بالموضوع، سواء أكان ذلك في الملاحظات أم في نص المقال، قد جرى تحريفها وتشويهها أو حذفها، ومثال ذلك المعونة المالية المقدمة من الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل. حقيقة إن الكثير مما ورد مجرد أوهام إلا أن الخطة لا ينبغي النظر إليها كما لو كانت غير ذات

تأثير، أو أنها غير قابلة للتحقيق لبعض الوقت. والخطة تتبع بكل أمانة أفكار الجيوبوليتيك التي سادت ألمانيا ما بين عامي ١٨٩٠م و١٩٣٣م، والتي ابتلعها هتلر وابتلعتها الحركة النازية كاملة غير منقوصة وحددت – بالتالي – أهدافهم في أوروبا الشرقية. وهذه الأهداف، وبخاصة تقسيم الدول القائمة، جرى تنفيذها ما بين عامي ١٩٣٩م و١٩٤١م، وما منع تعزيزها إلا تحالف عالمي على نطاق واسع عبر مدة من الزمن.

وتأتي ملاحظات الكاتب في نهاية النص، ولكي أتجنب إحداث أي لبس فلم أقم من جانبي بإضافة أي ملاحظات أخرى، ولكني وضعت أهم ملاحظاتي في هذه المقدمة، وكذلك في الملاحظة الختامية في نهاية الترجمة، إلا أنني قمت بتسليط الأضواء على بعض العبارات (وهي التي وضع تحتها خطوط).

إسرائيل شاهاك

١٩٨٢/٦/١٣م

خطة إسرائيل في الثمانينيات (١)

بقلم: أودد زينون

تحتاج دولة إسرائيل مع بداية الثمانينيات إلى منظور جديد قياساً إلى مواقعها وأهدافها ومراميها القومية، سواء أكان ذلك داخل البلاد أم في الخارج، وقد أصبحت هذه الحاجة أكثر أهمية نتيجة لعدد من «العمليات المركزية» التي تمر بها البلاد (إسرائيل) والمنطقة والعالم، فنحن نعيش اليوم المراحل الأولى لمدة زمنية جديدة في التاريخ الإنساني.. لا تشبه إطلاقاً المدة الزمنية التي سبقتها، وتختلف في خصائصها عن كل ما عرفناه حتى الآن، ولهذا السبب فنحن بحاجة إلى فهم العمليات المركزية

التي تميز هذه المدة التاريخية «من ناحية» وإلى نظرة عالمية واستراتيجية جاهزة للعمل طبقاً للظروف الجديدة «من ناحية أخرى»، ولسوف يعتمد وجود الدولة اليهودية ورخاؤها واضطرادها على قدرتها على تبني أطر جديدة لشؤونها الداخلية والخارجية.

وتمتاز هذه المدة الزمنية بعدة خصائص في مقدورنا الآن تشخيصها، وترمز إلى ثورة حقيقية في نمط حياتنا الحاضرة، والعملية المهيمنة هي انهيار النظرة العقلانية الإنسانية التي تشكل الدعامة الأساسية لاستمرار الحضارة الغربية وإنجازاتها منذ عصر النهضة الأوروبية، فوجهات النظر السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نبعت من هذا الأساس بُنيت على عدد من «الحقائق» هي الآن في طريقها إلى الزوال وعلى سبيل المثال النظرة القائلة: «إن الإنسان الفرد هو مركز الكون وأن كل شيء موجود كي يفي بحاجات هذا الإنسان المادية الأساسية»، وهذا الموقف يجري الآن إضعافه وإبطاله، وعندما وضح أن كمية الموارد الموجودة في الكون لا تفي بمتطلبات الإنسان، سواء أكانت حاجاته الاقتصادية أم القيود المفروضة على توزيعه السكاني، وفي عالم يعيش فيه أربعة بلايين إنسان وبموارد من الاقتصاد والطاقة لا تنمو طردياً كي تفي بحاجات الجنس البشري، فإنه من غير الواقعي أن نتوقع إمكانية الوفاء بالمتطلبات الرئيسية للمجتمع الغربي(٢). أي بعبارة أخرى، تحقيق الرغبة والتطلع إلى استهلاك غير محدود للموارد، ووجهة النظر القائلة بأن الأخلاق لا تلعب أي دور في تحديد ذلك. هذه النظرة آخذة في الانتشار في أيامنا هذه، ونحن نرى عالماً تكاد تختفي فيه جميع القيم. فنحن في طريقنا إلى فقدان القدرة على تقويم حتى أبسط الأشياء، وبخاصة عندما ترتبط هذه الأشياء بأسئلة بسيطة مثل ما هو الخير؟ وما هو الشر؟!.

إن رؤية الإنسان القائمة على الطموحات والقدرات غير المحدودة آخذة في التقلص إزاء حقائق الحياة المحزنة، ونحن نشهد تقطع أوصال النظام العالمي من حولنا، وتبدو النظرة التي تبشر بالحرية والاستقلالية للجنس البشري نظرة سخيفة إزاء الحقيقة المحزنة المتمثلة في كون ثلاثة أرباع الجنس البشري يعيشون في ظل أنظمة حكم استبدادية حقيقية لا يجادل أحد في صدق وجهتي النظر هاتين «المساواة والعدالة

الاجتماعية»، ولكن من الواضح أنه لم يجر تطبيقهما تطبيقاً صحيحاً، والغالبية العظمى من الجنس البشري فقدت الحرية والاستقلالية وفرصة المساواة والعدالة. وفي العالم النووي الذي مازلنا نعيش فيه بسلام نسبي طوال ثلاثين عاماً، فإن مفهوم السلام والتعايش «السلمي» بين الشعوب لا معنى له.

إن مبدأ عسكرياً وسياسياً مثل ذلك المبدأ القائل: إن الحرب النووية ليست ممكنة وضرورية من أجل تحقيق الأهداف النهائية للماركسية فحسب، بل ومن الممكن البقاء بعد هذه الحرب، إن لم تذكر الحقيقة القائلة أن من الممكن أن ينتصر طرف ما فيها(٣).

إن المفاهيم الأساسية للمجتمع الإنساني، والغربية منها بخاصة، تمر بتغيير نتيجة للتحولات السياسية والعسكرية والاقتصادية، وهكذا فقد جعلت القوة النووية والتقليدية لاتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية من الفترة الزمنية التي انتهت (قبل زمن قصير) مجرد إرجاء (لتنفيذ حكم الإعدام) لقيام الملحمة البطولية العظمى التي ستمحق جزءاً كبيراً من عالمنا في حرب شاملة متعددة الأبعاد، والتي ستبدو الحرب العالمية السابقة إزاءها مجرد عبث أطفال.

فالقوة النووية، وكذلك الأسلحة التقليدية وكميتها ودقة تصويبها ونوعيتها ستجعل من عالي – معظم أجزاء عالمنا – سافلها خلال سنوات قليلة، وعلينا في إسرائيل أن نحدد حلفاءنا كي نستطيع مواجهة ذلك. إذن، هذا هو التهديد الرئيسي الذي يهدد وجودنا ووجود العالم الغربي(٤). فحرب الموارد في العالم، والاحتكار العربي للنفط، وحاجة الغرب لاستيراد معظم مواده الخام من العالم الثالث آخذة في تغيير العالم كما نعرفه. وذلك إذا أخذنا بعين النظر الأهداف الرئيسية لاتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية هو هزيمة الغرب عن طريق الوصول إلى التحكم في الموارد الهائلة في الخليج العربي، وبإمكاننا تصور أبعاد المواجهة الشاملة التي ستواجهنا في المستقبل.

إن مبدأ غورشكوف يدعو إلى قيام السيطرة السوفييتية على المحيطات والمناطق الغنية بالمعادن في العالم الثالث. وهذا وبالإضافة إلى وجود المبدأ السوفييتي

النووي القائل بأن من الممكن القيام بحرب نووية والانتصار فيها والبقاء فيما بعدها، وهي الحرب التي سيتم خلالها تحطيم قوة الغرب العسكرية، وجعل سكانه عبيداً في خدمة المذهب الماركسي اللينيني، هو الخطر الرئيسي الذي يتهدد السلام العالمي، ويتهدد وجودنا ذاته، ومنذ عام ١٩٦٧م، قام السوفييت بتحوير مقولة «كلوزفيتز» بحيث يصبح منطوقها «الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل نووية»، وجعلوا من هذه العبارة الجديدة الشعار الذي يوجه جميع سياساتهم، بل إنهم غدوا اليوم منهمكين في تنفيذ أهدافهم في منطقتنا، وفي جميع أنحاء العالم، والحاجة لمجابهتهم تصبح العنصر الرئيسي في السياسة الأمنية لبلدنا، وبطبيعة الحال لبقية العالم الحر، وهذا هو التحدي الأجنبي الرئيسي الذي يواجهنا(٥).

ويقوم الكاتب بطرح ما يعتقده عن واقع العالم العربي الإسلامي ويشبهه ببيت هش يسهل هدمه بسبب خليط الأقليات العرقية المتعادية، والحروب الأهلية الدائرة بين أهله وسيطرة فئات معينة على الحكم، بالإضافة إلى عدم تماسك جيوشه واحتمالات تفسخها رغم كثرة معداتها العسكرية.

كما يتحدث عن الوضع الاقتصادي العربي، فيشير إلى وجود المجموعات القليلة الغنية، والغالبية الفقيرة، ويقرنها بالموارد النفطية الهائلة المتوافرة في المنطقة والتي لا يوجد من هو قادر على حمايتها من أهلها.

ويخلص إلى القول إن هذا الوضع العربي يخلق فرصاً للسيطرة الصهيونية على المنطقة في الثمانينيات من القرن الماضي تعوض على الكيان الصهيوني ما فاته من فرص بسبب النظرات السياسية الضيقة والآراء اليهودية المتطرفة، وليس أمام الكيان الصهيوني من مفر غير السيطرة على الموارد العربية إذا أراد الاستمرار في الوجود، وأمام الضعف العربي في نظر الكاتب، فإن العرب لا يشكلون مشكلة استراتيجية رئيسية للكيان الصهيوني إذ إن مشكلة إسرائيل الاستراتيجية الأساسية تكمن في ضرورة مواجهة الأطماع السوفييتية في المنطقة.

ثم يبدأ في الحديث عن السلام الذي يراه خطيئة ارتكبها حكام الكيان الصهيوني فيقول: إن سياسة (السلام) وإرجاع الأراضي، من خلال الاعتماد على الولايات

المتحدة الأمريكية، من شأنهما أن يحولا دون تحقيق الخيار الجديد الذي أتيح لنا، ومنذ عام ١٩٦٧م، فإن جميع حكومات إسرائيل قامت بتعطيل أهدافنا القومية انطلاقاً من حاجات سياسية ضيقة من ناحية، ومن ناحية أخرى متأثرة بآراء مخربة في الداخل أدت إلى تحييد قدراتنا في الداخل والخارج معاً، والإخفاق في اتخاذ خطوات تجاه السكان العرب في المناطق الجديدة التي حصلنا عليها من خلال حرب فُرضت علينا، كان الخطأ الاستراتيجي الرئيسي إلي ارتكبته إسرائيل منذ البداية بعد حرب يونيو ١٩٦٧م، وكان من الممكن أن نجنب أنفسنا كل الصراع المرير والخطر الذي تعرضنا له منذ ذلك الوقت لو أننا أعطينا الأردن للفلسطينيين الذين يسكنون غربي نهر الأردن، ولو عملنا ذلك لكنا قد قمنا بتحييد المشكلة الفلسطينية التي نواجهها اليوم والتي وجدنا لها حلولاً هي ليست من الحلول في شيء، مثل الحلول الوسط المتعلقة بالأراضي أو الحكم الذاتي، وهي الحلول التي تصل إلى النتيجة ذاتها(٦). واليوم نجد أنفسنا في مواجهة فرص هائلة تمكننا من تحويل الموقف كلية، وهذا ما ينبغي علينا عمله في العقد القادم وإلا فلن يكتب لنا البقاء كدولة.

وخلال الثمانينيات «من القرن الحالي» سيغدو من الواجب على دولة إسرائيل أن تنجز تغييرات واسعة المدى في نظامها السياسي والاقتصادي على النطاق المحلي، جنباً إلى جنب تغيرات ثورية في سياستها الخارجية حتى تستطيع التصدي للتحديات العالمية والإقليمية في هذه الحقبة الزمنية الجديدة، وخسارة حقول نفط السويس، والاحتمالات الهائلة من النفط والغاز وغيرهما من الموارد الطبيعية في شبه جزيرة سيناء التي هي من الناحية الجيومورفولوجية (شكل الأرض وتضاريسها وتوزيع اليابسة والبحار على سطحها) مماثلة تماماً للأقطار الغنية بإنتاج النفط في المنقطة، سينجم عن استنزاف للطاقة (في الكيان الصهيوني) في المستقبل القريب، وسوف يحكم اقتصادنا المحلي، فربع إجمالي الناتج الوطني أو ما يعادل ثلث الميزانية يستخدم لشراء النفط(٧). كما أن البحث عن المواد الخام في النقب والمناطق الساحلية لن يؤدي إلى تغيير هذا الوضع في المستقبل القريب..

إن استعادة شبه جزيرة سيناء بمواردها الحالية والمحتملة هي لذلك أولوية سياسية يقف في طريقها اتفاقيتا كامب ديفيد، ومعاهدة السلام، والخطأ في ذلك يعود بطبيعة الحال إلى الحكومة الإسرائيلية الحالية والحكومات التي مهدت الطريق لسياسة التنازل عن الأرض، وهي الحكومات الائتلافية منذ عام ١٩٦٧م، ولن يكون المصريون بحاجة إلى المحافظة على معاهدة السلام بعد عودة سيناء، وسوف يبذلون كل ما يستطيعونه للعودة إلى أحضان العالم العربي والاتحاد السوفييتي كي يحصلوا على الدعم المادي والمساعدة العسكرية، فالمساعدة الأمريكية غير مضمونة إلا لأمد قصير، لأن بنود السلام وضعف الولايات المتحدة الأمريكية في الداخل والخارج سيؤديان إلى تخفيض في المساعدة، من دون النفط والدخل الناجم عنه، وأمام الإنفاق الحالي الهائل فلن نستطيع تجاوز عام ١٩٨٢م في ظل الظروف السائدة، وسيغدو علينا أن نعمل كي نعود بالموقف إلى حالة الأمر الواقع التي كانت سائدة في سيناء قبل زيارة الرئيس أنور السادات، واتفاقية السلام الخاطئة التي وُقعت معه في مارس ١٩٧٩م(٨).

وأمام إسرائيل طريقان رئيسيان لتحقيق هذا الهدف من خلالهما، أحدهما طريق مباشر، والآخر غير مباشر، والاختيار المباشر هو أقل الطريقين واقعية، وذلك بسبب طبيعة نظام الحكم والحكومة في إسرائيل، وكذلك بسبب حكمة الرئيس أنور السادات التي أدت إلى انسحابنا من سيناء، الأمر الذي كان يمثل بعد حرب ١٩٧٣م، إنجازه الرئيسي من تسلمه السلطة، ولن تقوم إسرائيل بنقض المعاهدة من طرف واحد، لا اليوم ولا في عام ١٩٨٢م، إلا إذا تعرضت، أي إسرائيل، لضغوط اقتصادية وسياسية شديدة، وقامت مصر بتقديم المسوغ لاحتلال سيناء من جديد بأيدينا للمرة الرابعة في تاريخنا القصير. إذن ما يبقى أمامنا هو الخيار غير المباشر. إن الوضع الاقتصادي في مصر وطبيعة النظام الحاكم وسياسته العربية الجامعة سوف تخلق كلها موقفاً بعد إبريل ١٩٨٢م، ستجد إسرائيل نفسها فيه مجبرة على العمل مباشرة، أو بصورة غير مباشرة كي تستعيد السيطرة على سيناء كاحتياطي استراتيجي واقتصادي وطاقي للمدى البعيد. ومصر لا تشكل مشكلة عسكرية استراتيجية نتيجة لصراعاتها الداخلية،

ولأنه يمكن طردها إلى الخلف إلى الموقف الذي كان سائداً قبل حرب ١٩٦٧م، خلال مدة زمنية لا تزيد على يوم واحد(٩).

وأسطورة مصر الزعيمة القوية للعالم العربي جرى تحطيمها في الماضي عام ١٩٥٦م، وبالتحديد لم توجد في عام ١٩٦٧م، ولكن سياستنا مثل إعادة سيناء قد خدمت في تحويل الأسطورة إلى حقيقة. وعلى أي حال فالواقع أن قوة مصر قياساً من إسرائيل وحدها، وقياساً إلى بقية العالم العربي قد انخفضت إلى ما يقرب من ٥٠% منذ عام ١٩٦٧م. ومصر لم تعد القوة السياسية القائدة في العالم العربي، وأصبحت من الناحية الاقتصادية على حافة الأزمة. ومن دون المساعدة الأجنبية فإن الأزمة ستحل بها قريباً(١٠). وعلى المدى القصير، ونتيجة لعودة سيناء فإن مصر ستحوز بعض المكاسب على حسابنا، ولكن ذلك لن يكون إلا على المدى القصير وحتى عام ١٩٨٢م، وذلك لن يغير ميزان القوى لصالحها، بل وربما يؤدي إلى سقوطها، ومصر في وضعها السياسي الداخلي الحالي، قد أصبحت بالفعل مجرد جثة، ويزيد في تكوين تلك الصورة إذا أخذنا بعين الاعتبار الانقسامات المتزايدة بين المسلمين والمسيحيين. إن تجزئة مصر إقليمياً إلى مناطق جغرافية متميزة هو الهدف السياسي لإسرائيل في الثمانينيات على جبهتها الغربية.

إن «مصر» مقسمة إرباً إرباً إلى عدة مراكز قوى، فإذا ما تجزأت مصر فإن بلاداً مثل ليبيا والسودان، بل وحتى الدول الأكثر بعداً عنها لن يكتب لها البقاء على صورتها الحالية.. وستلحق بمصر عند سقوطها وانحلالها، والرؤيا المتمثلة في دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر بجانب عدد من الدول الضعيفة ذات قوى محلية ومن دون حكومة مركزية، كما هو الحال حتى الآن، هذه الرؤية هي المفتاح لتطوير تاريخي أصيب بنكسة بسبب اتفاقية السلام، ولكنه يبدو حتمياً على المدى البعيد(١١).

و«الجبهة الغربية» هذه التي تبدو ظاهرياً أكثر إشكالاً هي في الواقع أقل تعقيداً من الجبهة الشرقية والتي قامت فيها، ولا تزال الحوادث التي تستأثر بعناوين الصحف منذ عهد قريب. وتجزئة لبنان بأكمله إلى خمس مقاطعات من شأنه أن يخدم كسابقة للعالم العربي بأجمعه، بما في ذلك مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية، بل

هو بداية مسيرة في هذا الاتجاه، وتجزئة سوريا والعراق في مرحلة لاحقة إلى مناطق عرقية أو دينية خالصة كما هو الحال بالنسبة للبنان هو الهدف الإسرائيلي الأول في الجبهة الشرقية على المدى البعيد، كما أن إنهاء القوة العسكرية لهذه الدول يعتبر هدف إسرائيل الأول على المدى القريب، وستنقسم سوريا إلى عدة دول طبقاً لبنيتها العرقية والدينية كما هو الحال في لبنان في الوقت الحاضر، وبذلك سيكون هناك دولة شيعية علوية على طول الساحل السوري، ودولة سنية في منطقة حلب، ودولة سنية أخرى في دمشق معادية لجارتها الدولة السنية في الشمال، وكذلك الدروز الذين سيقيمون دولة لهم وربما كان ذلك حتى في الجولان المحتلة، ولكن من المؤكد أن هذه الدولة ستكون في حوران، وشمالي الأردن، وهذا الوضع هو الذي سيكون الضمان للسلام والأمن في المنطقة في المدى البعيد، وهذا الهدف غدا اليوم ضمن ما نستطيع أن نصل إليه(١٢).

و«العراق» بما فيه من ثروة نفطية من ناحية، وما فيه من تمزق داخلي من ناحية أخرى، قد أصبح مرشحاً مضموناً لأهداف إسرائيل، وتجزئته أمر أكثر أهمية لنا من تجزئة سوريا، فالعراق أقوى من سوريا، وفي المدى القريب فإن القوة العراقية هي مكمن التهديد الأكبر لإسرائيل، إن حرباً عراقية إيرانية سوف تمزق العراق إلى أجزاء، وتؤدي إلى سقوطه داخلياً حتى قبل أن يصبح قادراً على تنظيم صراع واسع النطاق ضدنا، وكل نوع من أنواع المجابهة العربية الداخلية فيما بينهم سوف تساعدنا على المدى القريب، وسوف تختصر الطريق إلى الهدف المتمثل في تقسيم العراق إلى طوائف، مثل سوريا ولبنان.

أما تقسيم العراق إلى مقاطعات وفق تقسيمات عرقية دينية كما حدث في سوريا أثناء العهد العثماني، فأمر ممكن، وهكذا فإن ثلاثاً أو أكثر من الدول يمكن لها أن تتواجد حول المدن الرئيسية الثلاث البصرة وبغداد والموصل، وسوف تنفصل المناطق الشيعية في الجنوب عن السنيين والأكراد في الشمال، ومن المحتمل أن تؤدي المجابهة الإيرانية العراقية الحالية إلى تعميق هذا الاستقطاب(١٣).

و«شبه الجزيرة العربية» بأكملها مرشح طبيعي للتجزئة، نتيجة لضغوط داخلية وخارجية، وهذا أمر حتمي وبخاصة في المملكة العربية السعودية، وبغض النظر عما

إذا كانت قوتها الاقتصادية القائمة على النفط ستظل على حالها لا تمس، أو أن هذه القوة ستتقلص على المدى البعيد، فإن الانشقاقات الداخلية، والانقسامات هو تطور واضح وطبيعي على ضوء البنية السياسية الحالية(١٤).

أما «الأردن» فهو يشكل هدفاً استراتيجياً مباشراً على المدى القصير، ولكن ليس ذلك على المدى البعيد، لأنه لا يشكل خطراً حقيقياً على المدى البعيد، وذلك بعد تجزئته، وإنهاء حكم الملك حسين الذي طال، وانتقال السلطة إلى الفلسطينيين في المدى القصير.

ولا توجد أي فرصة أمام الأردن ليستمر في البقاء على بنيته الحالية لزمن طويل، وسياسة إسرائيل، سواء أكان ذلك في الحرب، أم في السلام، ينبغي أن توجه نحو تصفية الأردن في ظل نظام حكمه الحالي، ونقل السلطة إلى أيدي الأغلبية الفلسطينية، كما أن تغيير النظام الحاكم شرقي النهر سيتسبب أيضاً في إنهاء مشكلة الأراضي المأهولة بكثافة بالعرب غربي نهر الأردن، وسواء كان ذلك بالحرب أم كان وفق شروط السلام، وسواء كان ذلك عن طريق التهجير، وتجميد الوضع الاقتصادي السكاني في تلك الأراضي، فإن ذلك كله يشكل الضمانات للتغيير القادم على جانبي النهر، وعلينا أن نعمل بنشاط لتصعيد هذه المسيرة في المستقبل القريب جداً، ويجب كذلك «رفض» مشروع الحكم الذاتي وأي تسوية أو تقسيم للأراضي، وذلك يعود إلى أنه ومع الأخذ بعين النظر خطط منظمة التحرير الفلسطينية، وخطط العرب الإسرائيليين أنفسهم، خطة شفا عمرو المقدمة في سبتمبر ١٩٨٠م، ليس من الممكن أن نستمر في العيش في هذه البلاد في ظل الوضع الراهن من دون أن نفصل ما بين الأمتين، العرب يذهبون إلى الأردن، واليهود إلى المناطق غربي النهر، والتعايش والسلام الحقيقيان لن يسودا الأرض إلا إذا فهم العرب أنه من دون حكم يهودي ما بين نهر الأردن والبحر فلن يكون لهم بقاء أو أمان، ولن تكون لهم أمة خاصة بهم، ولن يكون لهم أمن خاص بهم، إلا في الأردن(١٥).

ولم يكن في داخل إسرائيل في يوم من الأيام أي معنى عند العرب للتعبير عن المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧م، والمناطق التي احتلت عام ١٩٤٨م، واليوم لم يعد

لهذا التمييز أي معنى عندنا كذلك، فالمشكلة ينبغي النظر إليها في صورتها الكلية دون أية تقسيمات كتلك التي كانت عام ١٩٦٧م، وينبغي أن يكون واضحاً في ظل أي موقف سياسي أو تجمع عسكري في المستقبل أن حل مشكلة العرب لن يتأتى إلا إذا اعترفوا بوجود إسرائيل ضمن حدود آمنة تمتد إلى نهر الأردن وإلى ما هو وراء ذلك، بوصفه ضماناً لبقائنا في هذه الحقبة الزمنية الصعبة، الفترة الزمنية النووية التي سندخلها في القريب العاجل، ولم يعد من الممكن أن نعيش وثلاثة أرباع السكان اليهود يعيشون على الشريط الساحلي الكثيف السكان.. الأمر الذي يحمل الأخطار في حقبة زمنية نووية.

فتوزيع السكان إذن هو هدف استراتيجي داخلي من الطراز الأول، وإلا فسنتوقف عن الوجود ضمن أي حدود، ويهودا والسامرة والجليل هي الضمانة الوحيدة لبقائنا القومي، وإذا لم نصبح الأغلبية في المناطق الجبلية فلن نحكم في البلاد، وسنكون مثل الصليبيين الذين فقدوا هذه البلاد التي لم تكن بلادهم في أي حال، والذين كانوا بداية أجانب عليها، وإعادة التوازن في البلاد سكانياً واستراتيجياً واقتصادياً هو أعظم الأهداف وأكثرها مركزية بالنسبة لنا اليوم، والسيطرة على مصادر المياه الجبلية من بئر السبع حتى الجليل الأعلى هو الهدف القومي الناتج من النظرة الاستراتيجية الرئيسية المتمثلة في استيطان الأجزاء الجبلية من البلاد والتي تخلو اليوم من اليهود(١٦).

إن تحقيق أهدافٍ على الجبهة الشرقية يتوقف أولاً على تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي الداخلي، وتحويل البنية السياسية والاقتصادية من أجل التمكن من تحقيق هذه الأهداف الاستراتيجية، هو المفتاح للوصول إلى التغيير الكامل، ونحن بحاجة إلى التحول من الاقتصاد المركزي حيث تشترك الحكومة فيه اشتراكاً كثيفاً إلى السوق المفتوحة والحرة، وكذلك إلى التحول من الاعتماد على دافعي الضرائب في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أن نطور – بأيدينا نحن – بنية اقتصادية منتجة حقيقية، وإذا لم نستطع إحداث هذا التغيير بحرية وطواعية فسوف نجبر على ذلك بفعل التطورات

العالمية، وبخاصة في مجالات الاقتصاد والطاقة والسياسة، وكذلك بفعل عزلتنا نحن المتزايدة(١٧).

ومن وجهة نظر عسكرية واستراتيجية فإن الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية يعجز عن مقاومة الضغوط العالمية التي يضعها اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية في شتى أنحاء العالم، ولذا فعلى إسرائيل أن تقف لوحدها في الثمانينيات دون مساعدة أجنبية، عسكرية كانت أم اقتصادية، وهذا أمر ضمن إمكاناتنا في الوقت الحاضر دون أن تكون هناك تنازلات من جانبنا(١٨). والتغيرات السريعة في العالم ستؤدي بدورها إلى تغيير في أحوال اليهود في العالم، والذين لن تكون إسرائيل بالنسبة لهم الملاذ الأخير، بل خيار الوجود الأوحد، فنحن نستطيع الافتراض أن يهود الولايات المتحدة الأمريكية، ومجتمعات أوروبا، وأمريكا اللاتينية ستستمر في العيش على الشكل الحالي في المستقبل(١٩).

إن وجودنا في هذه البلاد ذاتها أمر مؤكد، ولا توجد هناك قوة تستطيع إزاحتنا عن هذه الأرض، سواء بالقوة، أو بالخداع – على طريقة الرئيس أنور السادات.

وعلى الرغم من المستويات التي نجمت عن سياسة (السلام) الخاطئة ومشكلة العرب الإسرائيليين ومشاكل المناطق المحتلة، فإن باستطاعتنا التعامل مع هذه المشاكل بطريقة فاعلة في المدة المنظور.

ملاحظة ختامية

لابد من توضيح ثلاث نقاط كي نتمكن من فهم الاحتمالات المهمة لتنفيذ الخطة الصهيونية للشرق الأوسط، وكذلك لفهم السبب الذي يكمن وراء نشرها.

الخلفية العسكرية للخطة:

لم تذكر في نص الوثيقة الظروف العسكرية لهذه الخطة، ولكن هذه النقطة قد أوحت في الكثير من المناسبات، حيث كان يجري «شرح» شيء قريب من ذلك في الاجتماعات المغلقة التي يعقدها أفراد المؤسسة الإسرائيلية، ويفترض أن القوات العسكرية بجميع فروعها غير كافية للعمل الفعلي المتمثل في احتلال مثل هذه المناطق

الواسعة. كما جرت مناقشته أعلاه،وفي الواقع فإنه حتى في الأوقات التي كانت تشهد«اضطرابات» فلسطينية مكثفة في الضفة الغربية كانت قوات الجيش الإسرائيلي تمتد وتنتشر انتشاراً واسعاً.

والجواب على ذلك يتمثل في أسلوب الحكم عن طريق «قوات حداد» و«روابط القرى» أي قوات محلية تحت قيادة(١) «زعماء» لا تربطهم بالسكان أية رابطة، وليس لهم أية بنية إقطاعية أو حزبية، «كما هو الحال بالنسبة للكتائب» (٢) على سبيل المثال»، و«الدول» التي يقترحها «زينون» هي من طراز «دولة حداد» و«روابط القرى». ومن المؤكد أن قواتها المسلحة ستكون مشابهة لهما تماماً. وبالإضافة إلى ذلك فإن التفوق الإسرائيلي في مثل هذا الموقف سيكون أكبر بكثير مما هو عليه الآن، ولذلك فإن أي محاولة للثورة سوف «تعاقب»، إما عن طريق إذلال الجماهير، كما هو الحال بالنسبة للضفة الغربية، وقطاع غزة، وإما عن طريق الغارات الجوية، وإزالة المدن من الوجود، كما هو الحال في لبنان «يونيو/ حزيران ١٩٨٢م»، أو عن طريق الأسلوبيين معاً، ومن أجل تأمين ذلك فإن الخطة كما جرى شرحها كلام غير مكتوب، تدعو إلى إقامة حاميات إسرائيلية في الأماكن المركزية بين الدويلات الصغيرة، تكون مزودة بالقوى المدمرة المتحركة اللازمة، وفي الواقع فقد شهدنا شيئاً من هذا القبيل في دولة «حداد»، وسنشهد قريباً جداً وبكل تأكيد أول أمثلة على عمل هذا النظام، إما في جنوب لبنان، أو في لبنان بأكمله.

ومن الواضح أن الاستراتيجيات العسكرية التي ذكرناها، وكذلك الخطة برمتها، تعتمد أيضاً على استمرار المزيد من الانقسامات أكثر مما هو عليه الآن، وكذلك على غياب أي حركة وطنية تقدمية حقيقية بينهم، وربما سيتم القضاء على هذين الشرطين عندما تصبح الخطة في مرحلة متقدمة جداً، مما سينجم عنه نتائج لايمكن التنبؤ الآن بها.

ولماذا كان نشر هذا الأمر ضرورياً في إسرائيل ؟

إن السبب في نشر الخطة هو الطبيعة المزدوجة للمجتمع الإسرائيلي اليهودي، فهناك قدر كبير جداً من الحرية والديمقراطية وبخاصة لليهود، ومرتبط ذلك بالنظرية التوسعية، والتفريق العنصري، وفي مثل هذا الوضع لابد من إقناع النخبة الإسرائيلية

اليهودية «أما بالنسبة للجماهير فهي تتابع التليفزيون، وخطابات بيجن». وأول خطوات الإقناع هي خطوات كلامية غير مكتوبة -كما أسلفنا-، إلا أنه لابد وأن يأتي الوقت الذي يصبح فيه مثل هذا الإقناع غير مناسب، إذن لابد من إعداد المادة المكتوبة لمصلحة الذين ينبغي إقناعهم، والشرح لهم، وهم الأكثر غباء «وعلى سبيل المثال الضباط من ذوي الرتب المتوسطة الذين هم في العادة أغبياء بشكل ملحوظ»، عندئذ «يفهمونها» قلَّ ذلك أم كثر ويعظون بها غيرهم، وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل، وحتى البشوف «التجمع اليهودي في فلسطين قبل عام ١٩٤٨م» منذ العشرينيات من هذا القرن، كان يعمل بهذه الطريقة، وأذكر أنا شخصياً كيف - «قبل انتقالي إلى صفوف المعارضة – كانت ضرورة قيام الحرب مع مصر، قد شُرحت لي ولغيري قبل عام من قيام حرب عام ١٩٥٦م، وكذلك ضرورة هزيمة «بقية الفلسطينيين في الضفة الغربية عندما تسنح لنا الفرصة»، قد شُرحت لي خلال الأعوام ١٩٦٥م ، ١٩٦٧م.

لماذا نفترض أن ليس هناك خطر معين من الخارج نتيجة نشر مثل هذه الخطط؟

إن مثل هذه المخاطر تأتي من مصدرين اثنين طالما كانت المعارضة المنظمة داخل إسرائيل ضعيفة جداً «وهذا وضع قد يتغير نتيجة الحرب في لبنان»: من العالم العربي بما في ذلك الفلسطينيون، ومن الولايات المتحدة الأمريكية.. أما العالم العربي فقد أظهر نفسه حتى الآن على أنه عاجز عن إجراء تحليل مفصل وموضوعي للمجتمع الإسرائيلي اليهودي، كما أن الفلسطينيين في المعدل ليسوا بأفضل من الآخرين، وفي مثل هذا الوضع حتى أولئك الذين يصرخون منذرين بمخاطر التوسع الإسرائيلي «وهي مخاطر حقيقية بما فيه الكفاية» فهم يقومون بذلك لا لأن المعرفة الحقيقية والمفصلة متاحة لهم، بل لإيمانهم بأسطورة ومثال جيد جداً على ذلك الاعتقاد الراسخ بوجود العبارة المأخوذة من التوراة حول النيل والفرات، على حائط الكنيست التي هي غير موجودة على ذلك الحائط، ومثال آخر هو التصريحات الثابتة والخاطئة في آن واحد التي صرح بها بعض الزعماء العرب من بين أكثر هذه التصريحات تلك

التي تدعى بأن الشريطين الأزرقين الموجودين في العلم الإسرائيلي يرمزان إلى النيل والفرات، بينما أخذ هذان الشريطان فعلاً من شرائط وشاح الصلاة اليهودي «التاليت»، ويفترض المتخصصون الإسرائيليون أن العرب بصورة عامة لن يعيروا أي اهتمام لمناقشتهم «أي المتخصصين الإسرائيليين» الجادة حول المستقبل، وأن الحرب اللبنانية قد أثبتت صحة افتراضهم، هذا إذن لماذا ينبغي عليهم «أي الإسرائيليين» أن يتخلوا عن أسلوبهم القديم في إقناع غيرهم من الإسرائيليين؟.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يقوم وضع مماثل حتى الآن على الأقل، فالمعلقون الجادون كثروا أم قلوا يتلقون معلوماتهم عن إسرائيل، وكذلك معظم آرائهم عنها من مصدرين اثنين، المصدر الأول من المقالات التي تنشرها الصحافة الأمريكية «الليبرالية» التي تكاد تكتب جميعها من قِبَل اليهود المعجبين بإسرائيل الذين حتى عندما ينتقدون بعض النواحي في الدولة الإسرائيلية، يمارسون ذلك بكل إخلاص وولاء ما كان «ستالين» يطلق عليه اسم «النقد البناء».

والواقع فإن أولئك الذين يزعمون من بين هؤلاء الكتّاب أنهم أيضاً – ضد الستالينية- هم في الحقيقة أكثر ستالينية من ستالين نفسه بنظرتهم إلى إسرائيل كمعبود لم يخفق بعد، وفي إطار مثل هذه العبادة النقدية لابد من الافتراض دوماً أن لإسرائيل «نوايا حسنة».. وأنها قد «تخطئ الأخطاء» فحسب، ولذلك فإن مثل هذه الخطة لن تكون موضع جدل، تماماً كما لا يأتي أحد على ذكر المذابح التوراتية التي ارتكبها اليهود، أما المصدر الآخر الذي يستقي منه هؤلاء المعلومات، وهو صحيفة جيروزاليم بوست Jerusalem Post فإن لها سياسة مماثلة، ولذلك فطالما بقي هذا الوضع والذي تظل فيه إسرائيل حقيقة «مجتمعاً مغلقاً» بالنسبة لبقية العالم، لأن العالم يريد أن يغلق عينيه فإن نشر مثل هذه الخطة بل وحتى البدء في تنفيذها سيظل أمراً واقعياً وممكناً.

إسرائيل شاهاك

١٧ حزيران ١٩٨٢م

القدس

الفصل الثاني

وقائع .. لا خيال .. ؟!

من الثابت أن «الإعلام الصهيوني» يعمل جاهداً على سرقة تاريخ الشعوب العربية، وخلق قضايا جدلية لا طائل منها إلا الدوران في متاهات لا تفيد إلا الصهيونية فقط، ونحن لا نعمل فكرنا ونضع منهجية للتصدي لهذا البرنامج الصهيوني المتطرف الذي يجعلنا دائماً في موقف الضعيف، فمنهجنا هو ردود أفعال.. دون الإمساك بالمبادرة، ولذلك.. فإننا ومن دون إحياء المنهج العلمي والموضوعي المتمثل في نهضة فكرية وحضارية عربية إسلامية كالذي استطاعت به أوروبا أن تجعل من نفسها رائدة الآن في ميادين العلم.. فإننا سنظل في مواقفنا. فقد فهم المستشرقون قيمة الحضارة العربية الإسلامية وأخذوا مناهجها وصدروا لنا الغوغائية والتوهان، ولذلك وجب علينا الآن الصمود والبحث عن الجذور، وعلى العرب والمسلمين أن يعيدوا فهم تاريخهم وهضمه لصالح الأهداف الآنية والمستقبلية.

ويؤكد أهمية قراءة التاريخ د. قاسم عبده قاسم في كتابه الذي صدر في سلسلة كتاب الهلال تحت عنوان: «القراءة الصهيونية للتاريخ، الحروب الصليبية نموذجاً»، فيقول: «الحركة الصهيونية قد فهمت الدعاية على أنها حقيقة وعناق حضاري، ولذلك اهتم مخططو الدعاية الصهيونية بالنواحي الأدبية والتاريخية»، فـ «الأدب» هو الوسيلة التي تخلق الشحنة العاطفية، و«الفن» من أهم قنوات صياغة العقل والوجدان، كذلك فإن التاريخ لغة قوية لا تنحصر في محاولة بث الإعجاب، ومداعبة مشاعر الزهو القومي، وإنما هو مخزون للتجارب الإنسانية التي يمكن أن تنير الحاضر، وتهدي إلى المستقبل»..!

وبقراءة التاريخ يستطيع المؤرخ أن يتسلل إلى العقل الفردي والجماعي بتقديم النماذج التاريخية، والمواقف التي تخدم أهدافه، وهنا نسجل من خلال وثائق التاريخ

التي يجب على إعلامنا بكل أنواعه أن يعمل جاهداً لاسترجاعها وتقديمها في صورة مشرفة تليق بمكانتها ومضمونها الحقيقي، فيؤكد العلامة العربي محمود شاكر في كتابه الثمين «ثقافتنا في مواجهة العصر»: «إن أوروبا قد سقطت في حمأة القرون الوسطى المظلمة منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦م، أي قبل الهجرة بنحو مئة وخمسين سنة. وهنا تبين لنا المفارقة الغريبة التي يقدمها التاريخ، ويعلمها الغرب جيداً وعمل على ألا ترجع مرة أخرى، ألا وهي أنهم كانوا في جاهلية جهلاء على حد تعبير العلامة العربي محمود شاكر «أهلها يعيشون في ظلام الجهل»، لا دين يجمعهم، تتفشى الأمية فيهم، وتختلط المفاهيم الدينية بالخرافات، حتى جاء عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي ١٦٠٠م». أي بعد عشرة قرون من بزوغ الإسلام، وخلال تلك الحقبة كانت أوروبا تنغمس في ملاذ الجهل والخرافات، بينما يظهر الإسلام بدينه وثقافته وغلب على رقعة ممتدة من حدود الصين إلى الهند، إلى أقصى الأندلس، إلى قلب «أفريقيا» وأنشأ حضارة نبيلة متماسكة، بعد أن رد النصرانية وأخرجها من الأرض، وحصرها في الرقعة الشمالية التي يطمسها الجهل وتُعرف باسم أوروبا. وهنا شب الصراع مدة خمسة قرون بين النصرانية المحصورة في الشمال، وبين الإسلام جنوباً.

وظهر الحقد الصليبي على العرب والمسلمين، وعرفوا أن سر الصراع هو قيمة حضارة المسلمين، والنموذج الصليبي تجسيد لكره الغرب المستعر في الماضي، كما أن الكيان الصهيوني يجسد الكراهية والحقد على المسلمين في الحاضر، فالصهيونية بإعلامها المركز قد ركزت على محاولة سلب التاريخ والتراث العربي في كل عصور التاريخ، ونسبته زوراً وبهتاناً إلى اليهود، والنماذج كثيرة لهذا الصراع الحضاري بين الحق والباطل، بين أصحاب الحضارة الحقيقيين، وبين الغرب وإسرائيل على طول التاريخ، فالحروب الصليبية كانت رمزاً للكذب والتمويه، والبشاعة التي شنها الغرب على الشرق العربي والإسلامي حرباً عدوانية تظهر شعاراً يختلف مضمونه عن ظاهره، فاستخدمت الصليب بوصفه رمزاً للديانة المسيحية التي تظهر قدراً كبيراً من المسالمة في كتبها المقدسة، والصليب في المفهوم المسيحي رمز التضحية بالنفس فداءً للآخرين، هدفها المعلن – تحرير القدس التي شهدت آلام المسيح وعذابه، والتي فيها

قبره من أيدي المسلمين – فهي حرب مسيحية مقدسة شكلاً، ولكن مضمونها حقد دفين، وبطولة زائفة، أرادت الكنيسة من خلال السيطرة على كل شيء، واستنزاف خيرات الشرق.

ومن الأمور المثيرة أن الحركة الصليبية قد استخدمت في دعايتها القصص الكاذبة التي ذاعت عن الاضطهادات التي يلقاها مسيحيو الشرق على يد المسلمين، وانطلق الدعاة والمبشرون يروجون لهذه القصص حتى اشتعلت الفتنة، وزادت رغبة المسيحيين في قتل المسلمين، ثم امتدت هذه النزعة العدوانية لتحل باليهود بوصفهم من أعداء المسيح والكنيسة، ثم جاءت الحركة الصهيونية لترتبط منذ بدايتها بالعمل الدعائي والحرب الإعلامية إذ قال «هرتزل» في إحدى خطبه: «علينا أن نخلق أكبر قسط من الضوضاء حول المشكلة اليهودية»، وهذا ما يؤكده تاريخ الصهيونية عبر التاريخ.

وقاد الحملة ضد الإسلام والمسلمين رجال الكنيسة، وملوك الإقطاع، ودخلتهم الخشية، وخافوا أن يفضي الأمر إلى زوال سلطان النصرانية عن جنوب أوروبا، كما زال عن الأندلس، فرأوا أن يتجهوا إلى الشمال ليدخلوا في النصرانية هؤلاء الذين يعيشون في جهل، ولا دين لهم، ويحاولون تجميع أكبر قدر منهم ليكونوا بعد قليل مدداً لجيوشهم الجرارة التي ستهاجم المسلمين وعواصمهم في «الشام» و«مصر».

انطلق الرهبان والمبشرون الجوالون من أمثال بطرس الناسك؛ يجوبون شمال أوروبا ويشيعون الدعاية المسعورة ضد المسلمين، وأشعلوا نيران الفتنة البابوية، وهذا جعل نفوس بعض الفرسان تضطرم بالرغبة في قتل المسلمين الذين شاعت عنهم قصص تدمير الكنائس، وقتل المسيحيين وتعذيبهم في وقت كان الغرب يجهل كثير من الحقائق عن الإسلام والمسلمين.

وعلى مدى قرنين من الزمان تقريباً، منذ خروج الحملة الأولى من أوروبا عام ١٠٦٩م، وحتى سقوط آخر المعاقل الصليبية في بلاد الشام عام ١٢٩١، توالت على شواطئ البحر المتوسط الشرقي موجات عديدة من الأوروبيين الذين جاؤوا بعشرات الألوف من المقاتلين، وكان الاستعمار الاستيطاني أبرز أهداف الحركة الصليبية؛

وحتى تحقق هذا الهدف فرضت آثاره السلبية على المنطقة العربية، وحين يتشرذم العرب وينقسمون يكون في ذلك ضياعهم، سواء قديماً أو حديثاً، وشواهد التاريخ خير دليل على هذا.

ولم يكن انتصار الصليبيين في البداية تعبيراً حقيقياً عن موازين القوى، فقد كانت الجيوش العربية، وموارد المنطقة الاقتصادية أو البشرية تكفل هزيمة ساحقة للصليبيين إذا جمعتها جبهة واحدة، وهو ما حدث بعد ذلك بالفعل على يد صلاح الدين الأيوبي في موقعة «حطين»، فالحكام العرب في نزاع وتفكك وأنانية في المرحلة الأولى من الصراع، وفي تلك الحقبة انتصر الصليبيون وكان لهم الاتساع والاكتساح خلال جيلين.

وشهدت تلك الحقبة نزاعاً عربياً وانقساماً ساعد العدو على المزيد من الانتصار، ومع الأيام توالت المعارك، وأفرز الكفاح قيادات جديدة كفيلة بتحمل المسؤولية مثل «عماد الدين زنكي»، «نور الدين محمود»، «صلاح الدين الأيوبي»، وبفضل هؤلاء تغيرت دفة الحوادث على مدى ما يزيد على قرنين من الزمان.

وفي ظل هذا البعث الفكري ظهر «عماد الدين زنكي» ليقود حركة المقاومة العربية ضد الصليبيين، و«حطين» كانت معركة فاصلة (٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣هـ - ١١٨٧م)، ومهمة في تاريخ المواجهة العربية الصليبية، وكانت قيمتها الأساسية تتمثل في أنها أول تجسيد للجبهة العربية التي توحدت، وتقلصت الصليبية على خريطة فلسطين، وكانت حطين نهاية الجولة الأخيرة مع الصليبيين، وبعد ثمانية أشهر عادت القدس مدينة إسلامية مرة أخرى في أكتوبر ١١٨٧م.

الفصل الثالث

الحـــقد المـــوروث

تجسد الطمع في المنطقة العربية والإسلامية في محاولات عدوانية من التتار والمغول، ثم الاستعمار الحديث من دول الغرب وإسرائيل، التي مازالت المنطقة العربية تعاني منه.. وهو الذي أخرج المنطقة العربية من دائرة التقدم والنمو، وجعلها تدور في معارك لا طائل منها خلال الـ ٧٠٠ سنة الماضية، بينما تعلم الغرب الدرس، واستفاد من علوم المسلمين، وطور نفسه بسرعة فائقة، واستلم أدوات التطوير من الحضارة العربية والإسلامية، وفهم سر قوتهم وانتصاراتهم، وحفظ هذا السر، وعمل ليل نهار على ألا يعود إلى الظلمات مرة أخرى، وبدأ بالمنهج والتطوير.. بينما جعلنا نتحاور مع أنفسنا ونعيش ظلماته التي صدرها إلينا، وللأسف الشديد كانت الظلمة شديدة، وضاعت منا كل أدوات التقدم، واكتفينا بمقعد المتفرج، الحاضر الغائب.

والسؤال المكرر الذي يطرح نفسه الآن: لماذا وقف العرب والمسلمون مكتوفي الأيدي بعد هذه النهضة العملاقة؟ وما هو عائق التقدم أمام هذه المنطقة؟!.

الإجابة واضحة وصريحة لأنها آتية من سجلات التاريخ والوثائق التي تثبت أن الاستعمار شغل المنطقة بجدل عقيم ومازال يطرح علينا بين الحين والحين هموماً سطحية لا طائل منها إلا الإخفاق والضياع، واكتفينا بحوارات داخلية عميقة.

وإذا ركزنا على الدرس الذي تعلمه الغرب وجدنا أن الغرب خرج من الحروب الصليبية بقيمة الحضارة العربية الإسلامية، وذاق مرارة الهزائم والانتكاسات، وبحث عن سر الهزائم، وسر الانتصارات، وعرف الدرس وفهم قيمة العلم، ثم سحب كل أدوات النهضة من أيدي العرب والمسلمين، وسرق كل شيء بمنهج منظم مدروس.

فمنذ سقوط القسطنطينية عام ٨٥٧هـ - ٢٩ مايو ١٤٥٣م، وهي كانت عاصمة المسيحية-، ودخلها محمد الفاتح بالتكبير والتهليل، وبذلك وقعت الواقعة واهتز العالم

الأوروبي كله هزة عنيفة ممزوجة بالخزي والرعب، والغضب والحقد.. امتد هذا الحقد حتى اليوم في سلسلة من الحملات المسعورة تستهدف تغييب العقل العربي، وتهميشه، ونهب كنوزه، وسرقة تراثه، ومن يوم فتح القسطنطينية بدأت أوروبا تتغير لتخرج من هذا المأزق الضنك، وبهمة لا تفتر ولا تعرف الكلل.

بدأ الرهبان وتلاميذهم معركة أخرى أشد من معارك الحروب، معركة المعرفة والعلم الذي هيأ للمسلمين ما هيأ من أسباب الظفر والغلبة، وظهر رجال من طبقة «روجر بيكون» الإنجليزي (١٢١٤م- ١٢٩٤م)، ورهبان أحسوا بالخلل الواقع في الحياة المسيحية التي لم تحم رعاياها من التساقط السهل في الإسلام طوال القرون، هبوا لإصلاح الخلل فكان منهم (توما الإكويني) الإيطالي الكاثوليكي (١٢٢٥م- ١٢٧٤م) الذي اعتمد المعرفة والعلم، وتعلم الكثير من الكتاب الإسلاميين وعلمائهم وفلاسفتهم ومتكلميهم مثل «ابن رشد وابن سينا» وغيرهما مستهدفاً إصلاح الخلل الذي أضعف الكنيسة.

وعاشت أوروبا قرناً ونصف القرن في إصلاح هذا الخلل وتحصيل المعرفة والعلم من دار الإسلام بكل ما أوتيت من وسائل، وغرقنا نحن في سبات طويل.

الفصل الرابع

الشرق منهبة للغرب

ومن قلب هذا الصراع خرجت طبقة لإصلاح خلل المسيحية الشمالية مرة أخرى، فخرج الراهب الألماني «مارتن لوثر» (١٤٨٣م- ١٥٤٦م)، والراهب الفرنسي «جون كلفن» (١٥٠٩م – ١٥٦٤م)، وخرج السياسي الإيطالي ماكيافيلي (١٤٦٩م – ١٥٢٧م)، وخرج أيضاً وظهر صراع اللغات واللهجات المتباينة طلباً لاستقرار لغة موحدة لكل إقليم، وبدأ التجمع لإعداد أمة مسيحية قادرة على دفع رعب الترك أي المسلمين عن أرض أوروبا.

وبدأت اليقظة ذات الهدف الواحد الذي لا يغفل عنه راهب ولا عالم ولا صغير ولا كبير، وبذلك خرجت أوروبا من ظلمات القرون الوسطى بعد جهد جهيد إلى القرون الحديثة، وارتفعت أوروبا بعد الهزائم، وتاه المسلمون بسبب الغفلة والغرور بالنصر.

وبدأ صراع الغضب الذي صنع لهم كل شيء، وقامت يقظة تامة على المثابرة في تحصيل العلم، العلم الحي عند علماء المسلمين ومن كتبهم، وانبعثت نهضة العلوم الحديثة مستمرة إلى يومنا هذا، واستفادوا من كتب الرياضة والجبر والكيمياء، والطب والفلك وسائر علوم الصناعة، وبدأت حركة تجميع هذه الكتب إما بالشراء أو بالسرقة، أو عن طريق التلاقي مع العامة والخاصة والمثقفين، وإمداد علماء اليقظة بهذه الكنوز النفيسة من الكتب التي استولوا عليها باذلين الجهد في ترجمة هذه المعرفة والعلوم، وتفسير رموزها، ومن هنا نشأت فكرة الاستشراق والمستشرقين، وهم أعظم طبقة تمخضت عنها اليقظة الأوروبية، لأنهم جند المسيحية الشمالية، ثم تمخض عنهم الاستعمار بكل أنواعه وطبقاته.. ليستولي على العالم الإسلامي، وينتهي الأمر إلى قهر المسلمين في عقر دارهم.

والهدف واضح هو اختراق دار الإسلام ثم تمزيقها من قلبها، ثم الظفر بالكنوز الغالية التي كانت ولم تزل تراود الحاقدين في أوروبا على الإسلام، وقامت حضارة جديدة غُذيت بالدم المسفوح، ومُزجت ثقافتها بالمكر والغدر والدهاء، وما «نابليون» إلا مغامر طبق رؤية الاستشراق ونصحه، وحاول أن يثبت أنه أول قائد أوروبي استطاع بقوته أن يخترق قلب دار الإسلام من الشمال، ويرد لفرنسا هيبتها التي ضاعت يوم طردتها بريطانيا من دار الإسلام في الهند.

قصة طويلة عريضة تملؤها الغرائب والعجائب، والمضحكات والمبكيات، والاستشراق بهذه الطريقة هو عين الاستعمار التي يبصر بها ويده التي يبطش بها، وجنوده التي تصول وتقتحم الأرض والعقل العربي، مهمتهم نبش دار الإسلام وسرقتها واستنزاف ثرواتها وكنوزها وخيراتها، وكانت أكبر دولتين يومئذ إنجلترا وفرنسا، وكان السبق لانجلترا، فأنشأت ما يسمونه شركة الهند الشرقية البريطانية، وهو أول جهاز استعماري قوي وذلك عام (١٦٠٠م – ١٨٥٨م)، وتبعتها فرنسا، فأنشأت جهازها الاستعماري باسم «شركة الهند الشرقية الفرنسية» وذلك عام (١٦٦٤م – ١٧٦٩م)، وهو جيش غاز مسلح مهمته النهب والسلب وقطع الطريق.

ومن هنا نرى كيف كان الشرق منهبة للغرب، وكيف تم قلب موازين القوى، ومن ذلك التاريخ والعرب المسلمون مشغولون بقضاياهم الداخلية لا تقوم لهم قائمة، حيث دب بينهم الخلاف والنزاع، وضاعت حضاراتهم، وقدمهم الغرب لشعوبهم على أنهم شعوب بدوية جاهلة تريد القضاء على حضارتهم.

ووقف الإعلام العربي صامتاً مكتوف الأيدي، يشاهد ولا يسعى للتطوير والتصدي لتقديم التاريخ بصورة قوية وموضوعية جذابة.. ليظهر العالم كيف كان العرب والمسلمون بحضارتهم السباقة في كل العلوم والفنون، وكيف كان الغرب في جهالة وتخلف، وكيف تم السطو على كنوز المسلمين العرب، ومازال مسلسل السطو والقتل والتدمير لكل ما هو عربي ومسلم مستمراً إلى يوم الناس هذا.

الباب الرابع

لماذا خرج الشرق من دائرة التقدم؟!

..... استطاعت الصهيونية في غياب الإعلام العربي اليقظ أن تصنع تراثاً مسروقاً من العرب.

الفصل الأول

الهوية الثقافية إلى أين؟

ونحن هنا لسنا بصدد كتابة التاريخ أو تسجيله وتوثيقه، وإنما نحاول أن نجيب على السؤال الملح الذي يفرض نفسه دائماً على الساحة الدولية والمحلية، ألا وهو لماذا خرج العرب والمسلمون من دائرة التقدم والازدهار؟

والإجابة هنا نطرحها للفضائيات العربية، وللإعلام المقصر في حق وطنه، لقد وقعنا في المتاهة، لأن الاستعمار أراد لنا أن نتدهور في كل شيء، فخلق لنا ما يتناسب من حواجز لمنع اتصالنا بكنوزنا، أو اللحاق بالغرب في تطوره وتقدمه، وبالتالي لا نتعامل بلغة العصر، ونظل تابعين لأفكار بائدة ونلف وندور حول مشكلاتنا الداخلية المصطنعة، وفي هذا التوهان والضياع تضيع الأراضي العربية وكنوز المعرفة، ويُسرق التاريخ.

وظهر المخطط الصهيوني في محاولة سرقة التاريخ العربي في فلسطين، والمنطقة العربية من خلال اختلاق دور تاريخي لليهود في التصدي للعدوان الصليبي بشكل يوحي أن اليهود أصحاب الأراضي، وأنهم تعرضوا للعدوان، ودافعوا عن «البلاد»!! وهو أمر يحاولون به تأكيد حق اليهود التاريخي المزعوم في الأراضي العربية التي سرقوها، وهذا ليس بالجديد على الاتجاه الفكري للحركة الصهيونية، فخطة اليهود منذ القرن الثامن عشر، منذ اندلاع الثورة الفرنسية هو الاستفادة من كل شيء والتخطيط المنهجي لتدمير كل الحواجز لتصل الصهيونية إلى مخططها، فاستفادت الصهيونية من شعار الثورة الفرنسية، «الحرية والإخاء والمساواة» ولعبوا مع «نابليون بونابرت» دوراً مهماً لتمكينهم من الوصول إلى فلسطين...

ومن خلال أسرة «روتشيلد» جرت اتصالات بين نابليون واليهود لتحقيق أطماع نابليون في نقل مقر الكنيسة من «الفاتيكان» إلى «فرنسا» مقابل إطلاق يد

اليهود في الأوضاع الداخلية في «فرنسا» والحصول على وعد منه بالضغط على «تركيا» لإعطاء وطن قومي لليهود في «فلسطين»، وقد أخفق نابليون في تحقيق ذلك، فتآمر اليهود عليه، ونفي إلى جزيرة «سانت هيلان»...

وفي القرن التاسع عشر لعب اليهود دوراً مهماً في الدول التي كانوا يعيشون فيها كمواطنين، وعلى سبيل المثال كان ثمة نشاط مزدوج ليهود ألمانيا الذين عملوا جواسيس لحساب فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت لهم قضايا أمام المحاكم بتهمة التجسس لحساب دول أخرى، واضطهدهم «هتلر» لأنهم قوضوا اقتصاد ألمانيا، ودمروها من الداخل، ولم يدينوا بالولاء لها كوطن أم، وأنهم حولوا ذهبها وأموالها إلى خزائنهم السرية، وكان هذا أحد أهدافهم الكبرى ضد الدولة التي ولدوا فيها، وولد آباؤهم وأجدادهم، والغريب أن اليهود عدوا محاكمتهم نوعاً من الاضطهاد، واستغلوا ذلك في الدعوى إلى إقامة وطن قومي لهم في فلسطين استمراراً لما فعله «تيودور هرتزل» في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في مدينة «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م، وهو المؤتمر الذي نبتت فيه فكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين...

ولم تهدأ الجماعة الصهيونية، بل استغلت كل النفوذ الذي يوصل إلى الهدف، فكسبوا القوى الدولية في ذلك العصر إلى جانبهم، وكانت بريطانيا على رأس هذه القوى، خاصة أنها كانت تحتل «مصر» و«العراق»، والتفّت الصهيونية حول القوى الدولية، وتكشف البروتوكولات الصهيونية عن سر التفاف الصهيونية حول المجتمعات الغربية، وكان هدفهم هو السيطرة على المجتمعات الغربية المسيحية، بهدف السيطرة على العالم، مستخدمين في ذلك سلاح المال والإعلام والصحافة والجيش. واستغلال نقاط الضعف الإنسانية، وتوظيف الغرائز، وصرف الرأي العام عن الاهتمام بالدين، والانصراف عن القضايا الجادة، وإشغال الشعوب بكثير من القضايا الجدلية مثل كرة القدم والسينما وعروض الأزياء، والآن حدث ولا حرج، فتحولت الشعوب أسيرة لما يعرض داخل القنوات الفضائية التي تسهم بشكل كبير في السيطرة على العقول والوجدان العربي في كل مكان. ونخصُّ بالذكر الإلهاء المتعمد، والصرف الواضح عن القضايا الرئيسية وذلك بإشغال المشاهد بمباريات كرة القدم،

وخاصة المونديال، وأود أن أعود إلى نهاية العام الماضي أي ٢٠٠٩ لأذكر بالمخازي المتبادلة بين الشعبين المصري والجزائري جرّاء مباريات كرة تافهة، أسالت الدماء، وقطعت الأواصر الأخوية، واستنزفت التاريخ المشرف والعظيم للبلدين، فكان للإعلام الدور الأكبر في إذكاء حالة من الشوفينية المتعصبة، التي تحدث عنها الدكتور عوض سليمان في مقالة بعنوان: «الإعلام السفيه» فيقول: «سفهاء الإعلام لم يتوقفوا عند الفراعنة والجزائريين، بل حولوا مباراة مصر والجزائر إلى معركة سياسية، وربما عسكرية، فقد مرَّ في تعليق بعض الإعلاميين عليها، ألفاظ خطيرة مثل: «المعركة الحاسمة»، و«المعركة المصيرية»، وترددت كلمات مثل: «القنابل والصواريخ والقذائف المصرية»، ولا تظنوا أن المسألة مصادفة – والقول مازال للدكتور عوض سليمان- بل هي أيضاً توجيه حكومي، إذ توقفت الحروب مع الصهاينة منذ أمد بعيد، وأصبح الإرهابيون الصهاينة يدخلون دون تأشيرة، وهم يعربدون في شرم الشيخ وعلى حدود البلاد دون رادع، ولما كان الشعب توّاقاً لنصرة فلسطين، وللمعارك الفاصلة والمصيرية والصواريخ والقذائف جعلوها له في مباراة كرة قدم ليفرغ غضبه فيها» ويتابع «لقد نجح الإعلام بالتلاعب في مشاعر الشباب، وصوروا لهم أن هذه المباراة «معركة» لابد من «الانتصار» فيها، ولقد أراد بذلك أن يلهي المواطن عن البؤس الذي يعيشه، وللأسف فقد سار بعض البسطاء في ركب هذا الإعلام، فوجّهوا أنظارهم إلى المباراة، ونسوا كل شيء سواها، وظنوا أنهم «بالانتصار» فيها سينتصرون على عدو، أو سيحررون أرضاً». إذن المخطط الصهيوني ناجح بامتياز، ويحصد ثماره بيسر وسهولة. ونجحت المنظمات اليهودية في المجتمعات الغربية في إضعاف دور الدين والكنيسة، خاصة أن عدداً من المفكرين اليهود هم الذين روجوا للفكر الماركسي الشيوعي، مثل «كارل ماركس» و«أنجلز» وكان للصهيونية دور كبير في الثورة الروسية عام ١٩١٧م، كما كان لهم الدور نفسه في القضاء على الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م.

لا يمكن الاستهانة بدور الصهيونية في الإعلام، والاقتصاد الأمريكي، قضية «ووترجيت» خير مثال على هذا، ولم تكن إلا تخطيطاً دقيقاً رسموه ليعلنوه في الوقت

المناسب، وتستفيد الصهيونية من نتائج، بفرض وصاية على كل من يأتي ليكون رئيساً لأكبر دولة في العالم.

والحوادث تؤكد أن الصهيونية مسيطرة ومتحكمة على الولايات المتحدة الأمريكية، وتكاد تحكمها حكماً كاملاً، فمنذ مقتل «جون كيندي» وحتى محاولة قتل «رونالد ريجان» ما هي إلا حلقات صغيرة في مسلسل متصل من إراقة الدماء لصالح الصهيونية، وقد حذر الأديب والكاتب الروسي «دستوفسكي» في رسالته عن (المسألة اليهودية) التي كتبها تحت عنوان «يوميات كاتب» ونشرها في مجلة (نيفا عام ١٨٩٥م، وقال فيها:

«إن اليهود في روسيا كثيرو الشكوى من لا شيء، يستنزفون الروس ثم يرحلون، حيث يطالب اليهود بحقوق لم يطالب بها الشعب الروسي، ورغم ذلك، فلما جاءهم المحرر ويقصد القيصر الروسي ألكسندر الثاني الذي اشتهر بتسامحه مع اليهود، انقضوا عليه كالفريسة»، وقد لعبوا دوراً مهماً أثر في تطوير الحياة السياسية والاقتصادية في روسيا، منذ الدولة القيصرية وبعدها الثورة الشيوعية، وحتى في الحوادث التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفييتي في ٢٥ ديسمبر ١٩٩١م، وما أعقبها.

ونسجل هنا ما فعله بوريس «بيريزوفسكي» وهو ملياردير يهودي روسي يُلقب أحياناً بلقب صانع الرؤساء الروس، وأحياناً أخرى براسبوتين الجديد، يمتلك صحفاً ومحطات تلفزيون، وشركة طيران، وتسبب في نشوب حرب بين «روسيا» و«الشيشان»، وأقال حكومة «بريماكوف»، واتهم بالتنصت على الحكومة الروسية، وعلى الرئيس السابق «يلتسين»، إذ كان يحض على كراهية العرب والمسلمين، ويصف إسرائيل بأنها واحة الديمقراطية، ولكن التاريخ الحقيقي والصادق يثبت أن إسرائيل لا تريد سلاماً مع أحد ولا الاندماج في منطقة الشرق الأوسط كما يدّعون، ولكنها تعمل وفق بروتوكولاتها السرية، ولكسب الوقت، ومحو الذاكرة العربية، من خلال مناقشات لا تجدي نفعاً، وجدل لا فائدة منه، وعمليات عسكرية لتنفيذ مخططهم، وإسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل الأسبق يؤكد ذلك بقوله: «نستطيع أن نفاوضهم عشر سنوات دون أن يأخذوا منا شيئاً».

ويؤكد «روجيه جارودي» في كتابه «ملف إسرائيل» «دراسة للصهيونية السياسية» ترجمة د. مصطفى كامل فودة: «إن الصهيونية السياسية ابتدعها تيودور هرتزل (١٨٦٠م – ١٩٠٤م) وبدأ في صوغ مذهبها في فيينا منذ عام ١٨٨٢م ثم انتهى من إرساء نظامها عام ١٨٩٤م في كتابه «الدولة الصهيونية» وبدأ في وضعها موضع التنفيذ في أول مؤتمر صهيوني عقد بمدينة «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م وبذلك كان هدف تيودور هرتزل سياسياً ولم يكن قط دينياً».

والعنصرية في الصهيونية السياسية بناء متماسك يهيمن على كل تشريعات دول إسرائيل وعلى كل أعمالها وكانت تلك العنصرية هي المبدأ المسيطر على مشروع «تيودور هرتزل» كما يظهر في كتابه «الدولة اليهودية».. وقد أخذ تيودور هرتزل عهداً على نفسه بأن يكافح بحماس ضد الاندماج اليهودي في الأمم التي يعيشون فيها، مما جعله يسير في الطريق نفسه الذي سلكه المناهضون للسامية.

وابتداء من إنشاء دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨م تدعمت هذه الصهيونية ليس على حساب يهود العالم بأسره، بل بصفة خاصة على حساب الفلسطينيين فحسب الذين ترفض الصهيونية السياسية وجودهم ووضعت الصهيونية الحل الذي ينتج عن البرنامج الاستعماري وهو إقامة المستعمرات الاستيطانية بطرد الفلسطينيين وبتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين.

وكانت وسيلتهم هي الإبادة لمن يعترض طريق طموحاتهم التي تبدأ من النيل إلى الفرات، وخير دليل على هذه الأطماع غير القانونية هي استخدامهم لأساليب القتل والاغتيالات والمؤامرات.. يساعدهم في ذلك أطماع الغرب في منطقة حضارية يريد الغرب أن يطوعها دائماً تحت قيادته وسيطرته.

جرائم إسرائيلية

لقي «محمود المبحوح» أحد أبرز قادة حماس الأمنيين مصرعه في دبي في جريمة تشير أصابع الاتهام إلى مجرم وحيد ورئيسي فيها هو «إسرائيل» وأنها لم تخف نيتها وتركت الدلائل التي تشير إليها.

قامت المخابرات الإسرائيلية «الموساد» التي تعلن كل حين أنها تستهدف قادة حماس المكلفين بتنسيق أمن حركة المقاومة الإسلامية ودعم ذراعها العسكرية وتدعيم علاقاتها الخارجية. الاغتيال يتكرر... فقد تم من قبل اغتيال كمال عدوان وغسان كنفاني في بيروت في عملية كان قائدها ومنفذها «إيهود باراك» الذي تنكر في زي امرأة.. فاغتيال أبو إياد «صلاح خلف» في تونس.. فمحاولة اغتيال خالد مشعل نفسه بحقنة مسمومة في عمان قبل ١٣ عاماً وأثناء فترة حكم نتنياهو الأولى عام ١٩٩٧م.. فأين الإعلام السياسي من كل ذلك؟ لابد من فضح إسرائيل والمطالبة بمحاكمتها على جرائمها القذرة، ولابد من فضح مخططاتها المسمومة في كل مكان والمطالبة بملاحقة القتلة.. تحقيقاً لمبدأ سيادة القانون، وتخليصاً للبلدان المستقرة من ضررها.

جماعات القتل والمؤامرات

ولابد أن تعرف إسرائيل ومن تلاحقهم أو يلاحقونها أن هناك دولاً عربية مستقرة لا يمكن إدخالها في صراع وحروب واغتيالات.

والإعلام العربي – وبكل أسف- لا يعمل وفق منهج علمي فهناك الكثير من الفضائح والمؤامرات التي تقوم بها إسرائيل.. فأين الإعلام العربي عندما تكشف صحيفة «الإندبندنت» البريطانية ٢٠١٠/٢/٣م عن شهادات لضباط كبار في الجيش الإسرائيلي عن الحرب الإسرائيلية الأخيرة على قطاع غزة قررا فيها بانتهاك حقوق المدنيين الفلسطينيين في الحرب، وتعمد استهدافهم.

هذه الشهادات من شأنها فرض ضغوط كبيرة على رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.. لإجراء تحقيق مستقل ونزيه في الحرب التي قتل فيها الإسرائيليون ١٤٠٠ مدني فلسطيني.

- رصد كاتب بريطاني شهير «روبرت فيسك» فعاليات «مؤتمر هرتسيليا» للأمن القومي الإسرائيلي الذي حضره في القدس، الذي بدأ أعماله في ٢٠١٠/٢/٣م وهو المؤتمر الذي يُعقد سنوياً بالقدس ويناقش قضايا أمنية لها علاقة بالوجود الإسرائيلي وقال:

«إن زعماء إسرائيل في مؤتمر هرتسيليا أصابهم نوع من الفصام، فتناسوا المذابح التي ارتكبوها في لبنان والأراضي الفلسطينية وغزة، وشغلهم كيف أن الدولة الأوروبية تحاول.. محاكمة ضباط جيشهم الأكثر أخلاقية في الحروب».

وسخر «فيسك» من محاولة إسرائيل الظهور بمظهر الضحية والمستضعفة وتجاهلها اعتداءاتها وضحاياها، ومحاولة اتهام العالم الخارجي بالتحيز ضدها والادعاء بأنها تواجه أخطاراً غير مسبوقة مؤكداً استمرار أمراء الحرب في إسرائيل.

مجازر لبنان عام ١٩٨٢م – وصبرا وشاتيلا وقانا وضحاياها ١٠٦ ونصفهم من الأطفال قتلوا بالقذائف الإسرائيلية – بالإضافة إلى ١٥٠٠ شهيد لبناني خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦ وإلى ١٤٠٠ شهيد فلسطيني في عام ٢٠٠٩م.

سياسة المؤامرات والتخويف

وقد لعب الإعلام وسياسة المؤامرات والتخويف الصهيوني الدور الساخن الذي حاصر العرب والمسلمين وجعلهم في خندق واحد ألا وهو «الإرهابيون».. ومن هنا اتفق العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ووجهوا التهم للمسلمين والعرب أنهم

إرهابيون وأصبحت المنطقة معملاً لتفريخ إرهابيين على حد توظيف الإعلام الصهيوني الذي يلعب في العالم بأدوات عصرية ساحرة، وإعلامنا جامد متوقف عن المواجهة والتصدي، ليفند الأقاويل الكاذبة ويتصدى للإعلام المكذوب ويقدم الأدلة والبراهين على أفاعيل الصهيونية في العالم منذ فجر التاريخ... ويعلم ذلك القاصي والداني أن إسرائيل هي المعمل الدائم لتفريخ الأصوليات المتطرفة. وهي تتعامل مع الإرهاب وكأنه «سلعة استراتيجية» تقوم بتصديرها إلى العالم، ويدلل د. سعيد اللارندي في كتابه «الشرق الأوسط الكبير – مؤامرة أمريكية ضد العرب» على أن أسامة بن لادن صنيعة أمريكية مدربه، مؤّله جهاز الـ «C.I.A» ليكون رصاصة في صدور كل من يختلف مع واشنطن في الرأي أو الرؤية. استغلت أمريكا أسامة وانفصل عنها بعد أن رأى كيف استغلوا العرب والمسلمين ووظفوهم تحت ستار الإسلام والجهاد للإطاحة بالاتحاد السوفييتي وتبين اللعبة الأمريكية الاستعمارية الكبرى في فرض تواجدها في المنطقة.

التضليل لمصلحة من ؟

ولمزيد من التحكم في الرأي العام بثت الصهيونية وسائل مختلفة لتضليل الرأي العام.. فتحكمت في كل وسائل العالم بأساليب مختلفة، ومن خلاله بثت الأكاذيب ليل نهار.. فضللت الرأي العام وتحكمت فيه وأعادت صناعته من جديد وهيأته لكي يقبل أكاذيبها وكأنها حقائق.

وقد فضح أحد مراكز الأبحاث والدراسات السياسية في باريس أكاذيب أمريكا وإسرائيل عندما شكك في التسجيلات الصوتية المنسوبة للمدعو «أسامة بن لادن» زعيم تنظيم القاعدة، وكذلك البيانات المنسوبة إلى الجماعات الإسلامية في العراق وأفغانستان، والتي نطالعها على مواقع «النت» المختلفة ليل نهار.. كل ذلك لم يهتم به الإعلام العربي إلا في أضيق الحدود ولم يعمل على نشره بوسائل مختلفة.. وهذا خير

دليل على عجز وجود الإعلام العربي، فعلى الرغم من أن فروع المعلوماتية والصوتيات والكمبيوتر كشف وسائل الإعلام ودورها في تقديم هذه الأكاذيب في كل وسائل الإعلام.. بأنها دعاوى باطلة روجتها الصهيونية بإلحاح إعلامي مكثف حتى باتت عند البعض بأنها حقائق، فإنه يتبين لنا أن إغراق الساحة بأخبار معينة لا يأتي بدون دراسة من المسؤولين عن الوسيلة الإعلامية المرئية أو المسموعة أو المكتوبة كما لا يأتي لحرص وسائل الإعلام على حق المتلقي في أن يعرف.. وإنما الهدف هو تغطية حدث بكم من الأخبار فتتوه الحقيقة.

صورة أخرى للأكاذيب، هي صورة الجنة الموعودة بالديمقراطية ونشرها في العالم العربي والإسلامي.. والنتيجة احتلال وتمزيق العراق وسلب حضارته وهدم وتخريب المتاحف والبنية التحتية وتشويه هوية وطن في إبريل عام ٢٠٠٣م، ومن هذا التاريخ والميديا الإعلامية الأمريكية تدعي الديمقراطية الموعودة في العراق.. متجاهلة أنها ديمقراطية يضيع فيها وطن وبشر وتظل الميديا الصهيونية تعمل وتبث أكاذيبها لخدمة الهدف الاستعماري وتتزايد أعمال العنف ويتساقط الضحايا.

والحقائق غائبة بفعل فاعل ويؤكد ذلك وزير خارجية ألمانيا يوشكا فيشر عندما يقول:

«لابد أن نثق في أن كل ما يقال حولنا من أخبار ليس دقيقاً وعندما سنعرف يوماً الحقيقة، سوف نندهش كثيراً لأنها ستكون أشد قوة مما يمكننا تحمله»..!!

ومما لا شك فيه أنه في الآونة الأخيرة ظهرت أكاذيب الصهيونية، ونحن نثق في وعي الأجيال الشابة في أنه مهما كانت قوة الأبواق الدعائية الأمريكية داخل المنطقة العربية وخارجها.. فلم يعد بوسع أحد أن يصدق المزاعم الصهيونية وأكاذيبها والمباركة الأمريكية التي تصاحبها.

وما فعلته الآلة العسكرية في العراق.. هو صورة مكررة لما تحدثه الآلة العسكرية الإسرائيلية في فلسطين المحتلة.

فهما يتحركان لهدف واحد ومطامح تنبع من رغبة بربرية متأصلة للتحكم في المنطقة وطمس حضارتها وهويتها، وكانت إسرائيل هي اليد القذرة التي يستخدمها

الغرب في تحقيق أطماعه، وإذا كان الإعلام السياسي العربي الإسلامي قد أغفل عن سهو أو عمد أو تواطؤ تسجيل وقائع الجرائم التي ترتكب في منطقتنا وفي العالم أجمع عن طريق الصهيونية فإننا هنا نسجل ما ارتكبت في حق أمتنا من جرائم ومجازر على يد الصهيونية في ظل الادعاء بدعم حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية، نقدم بانوراما لما حدث قد يستفيد منها الإعلام لكي يكشف للقارئ العربي والغربي جرائم ترتكب تحت مسميات صراع الحضارات والديمقراطية الزائفة.

الفصل الثاني

المجـــازر الإســرائيلية

في الوقت الذي تكال فيه للمسلمين والعرب الاتهامات الباطلة من إرهاب إلى عداء للسامية.. وغيرها، نرى جرائم ترتكب ضد الأبرياء من أهالي فلسطين أصحاب الأرض الذين تنتهك كرامتهم وتسلب ثرواتهم ويقسم وطنهم.. نرى إسرائيل تتبجح برفضها للسلام وتعلن عدم موافقتها على تنفيذ القوانين الدولية وتستمر في مسلسل القتل والتشريد، ونسجل هنا ما جاء في الكتاب الذي أصدرته «المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان» عن المجازر الإسرائيلية في القرن العشرين، ومن يقرأ ذلك الكتاب فإنه يقرأ تاريخ إسرائيل نفسه، منذ أن زُرع كيانها الصهيوني اغتصاباً واصطناعاً.. في الأرض الفلسطينية، وحتى يومنا هذا وهو لا ينفض غبار السنين المتراكم على الذاكرة العربية عن مجازر دير ياسين وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا وغيرها من المجازر الإسرائيلية فحسب،.. ولكن يستعيد من تحت أنقاض الماضي الكثير من القصص الإجرامية المذهلة في تاريخ الحركة الصهيونية، التي يحاولون طمسها لأنها مجازر بربرية بالغة الوحشية في «الصنطورة» وقبية الرامة وبلد الشيخ وقرية زكريا، بل وفي كل بقعة من بقاع فلسطين، وأخيراً في غزة ٢٠٠٨م.

وإذ نعرض ذلك ونسجله.. فلكي يستيقظ إعلامنا الذي تاه منه «الطريق»، وضاعت منه «الوسيلة» لإثبات جرائم ترتكب يومياً، بل وفي كل لحظة في ظل دولة تدّعي العدالة والإخاء والمساواة، وفي ظل الكثير من الجمعيات والمؤسسات الدولية التي تدّعي المحافظة على حقوق الإنسان.. بل وفي ظل الدول المتقدمة، التي تفاخر. بتطبيقها لقوانين ومواثيق حقوق الإنسان وأنها ملتزمة بأحكام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان، بل وتحاسب الآخرين على تقيدهم بها.. من عدمه سواء في تعاملها مع مواطنيها أو المقيمين على أراضيها.

إن الادعاء.. بأننا نعيش عصر حقوق الإنسان. ولغته السائدة عن السلام والديمقراطية واحترام الآخر وحرياته، وحقه في المشاركة الشعبية في الشأن العام.. هو ادعاء باطل والواقع مخالف تماماً لكل ما قيل ويقال في هذا الشأن، فالذي نراه ونشاهده هو خلاف ذلك تماماً، مجازر يومية وحروباً، وقتلا وتشريداً، والمسرح الأساسي لسفك هذه الدماء والتجريب لكل أنواع الأسلحة هو المنطقة العربية الإسلامية.

والعالم المتقدم الذي يرعى حقوق الإنسان هو الذي يسعى إلى استخدام تطبيق مختلف أنواع أسلحة الدمار في المنطقة العربية، إذ يعمل على نشر ثقافة الاستهلاك، وتغييب الشعور القومي، وتهميش الثقافات، والقيم الوطنية، وإعادة بناء كل ذلك وفق قواعد وأسس المنظومات الثقافية والفكرية بما يتجاوب مع مصالح وسياسات السوق العالمية، وأهداف العولمة، من منظور الربح، والعائد المالي والتجاري والاقتصادي، لنعيش عصر المتناقضات.. وإطلاق الشعارات والمواثيق.. بينما تطبيقها يخضع لظروف خاصة، تتحول معه الدول الكبرى إلى مانحة الحقوق لمن تريد، بينما تأمر بالقتل والتشريد على من تريد، كأن هذه القوانين تفصّل على من يرون فيهم أنهم تابعون فقط، وخير دليل على أن هذه القوانين والمواثيق الدولية ووجود المنظمات المتعددة والتي تنتشر في كل مكان هي محض حبر على ورق، أو بالأدق هي تخص إنساناً من نوع خاص.. هو «الإنسان الأوربي» و«الغربي» في كل مكان.

أما «الإنسان الشرقي» فهو درجة تختلف، يطبق عليه قانون الإبادة في ظل إعلام مهترئ يبحث عن إرضاء السلطة والديكتاتورية التي تحكم العالم، ألا يكفي المجازر التي حدثت وتحدث، فعلى سبيل المثال شاهدنا وقرأنا عن مجازر وحشية سجلتها بوقائعها المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان في كتاب يسمى «الكتاب الأسود» يسجل لنا وحشية الصهيونية التي تسعى لتطبيق بروتوكولاتها التي تبث الفتن والحروب في كل مكان، وتشجع قادتها العسكريين على اقتراف أشد المجازر وحشية وبربرية.

لم يكن محض سفك دماء الفلسطينيين وقتلهم، أطفالاً ونساءً، وشيوخاً وشباباً، شرطاً ضرورياً وحسب، لترقي العسكري الصهيوني إلى رتبة وزير أو رئيس حكومة إسرائيلية، بل على طالب هذه الترقية أن يوفر لجريمته الشرط الكافي بالبرهان بصورة قاطعة عن الجوهر العنصري، والمغزى الصهيوني، والهدف الصهيوني للمجازر المرتكبة.

كيف رسم «مناحم بيجن» مثلاً حقيقة الصهيوني، وهو الذي كان أحد قادة منظمة «أرغون زيفاي ليومي» الصهيونية الإرهابية التي ارتكبت إلى جانب غيرها من المنظمات الصهيونية مجزرة «دير ياسين» قبل إعلان الكيان الصهيوني.. وكيف عرَّف بيجن الصهيوني بقوله: «إن الصهيوني الإسرائيلي يكون في حاجة إلى تجديد وجوده بطريقة وحيدة هي الحرب، وإلى ملء هذا الوجود بأسباب مستمرة بجدارة التفرد، وهي القتل والقتل، والقتل»!! وعلى أساس هذه العقيدة صار قائد عصابة الأرغون – نفسه – رئيس حكومة إسرائيل، ونظم المجازر للفلسطينيين واللبنانيين، ويؤكد ذلك بقوله: «لولا الانتصار – وبقصد المجزرة في دير ياسين – لما كان هناك ما يسمى بدولة إسرائيل».

وعلى شاكلته شارون، حيث الماضي الغريب والبشع في الإجرام والبربرية منذ أن دبّر الكثير من المذابح الفلسطينية ومنها مذبحة «قبية» عام ١٩٥٣م، ومذابح «غزة» عام ١٩٧١م، و«صبرا وشاتيلا» في «بيروت» عام ١٩٨٢م، وغيرها الكثير من جرائم الذبح اليومي للشعب الفلسطيني، من عملية إبادة جماعية مبرمجة، هدفها القضاء نهائياً على الشعب صاحب الأرض، وعلى رموز المقاومة الفلسطينية من أمثال الشيخ أحمد ياسين، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي وغيرهما من قوافل الشهداء.

أما «بيريز» سفاح مذبحة «قانا» وقبله «رابين» الذي أمر شخصياً بتكسير عظام أطفال انتفاضة ١٩٨٧م، بالصخور وبالحديد، و«شامير» الإرهابي الذي قام شخصياً بتفجير فندق الملك داود عام ١٩٤٦م، الذي تمت في ظل قيادته مجزرة «كفر قاسم» وقتل مئات الأسرى المصريين الشباب.

أما «بن جوريون»، و«جولدا مائير»، و«نتنياهو»، و«باراك»، فما توصلوا إلى اعتلاء سدة الحكم في إسرائيل إلا على أساس شرهم المستطير في تنظيم القتل الجماعي، والتهجير الجماعي، والتدمير الجماعي، وعملاً بالقانون الصهيوني المستمر الفعل والحكم على أساسه: «أرض أكثر، وعرب أقل»..!!

ومن المعروف والموثق أن الحركة الصهيونية أفرزت خلال تاريخها شخصيات إرهابية، وجماعات إرهابية لا مثيل لها، تهوى المؤامرات والدسائس، والقتل وسفك الدماء، فبالإضافة إلى ما تم ذكره، نجد «الحاخام مائير كاهانا» المفعم بالممارسات الفاشية ضد العرب، المتشبع بالنظريات العنصرية والتطرف العرقي إلى درجة الهلوسة، وهو ما يمثل الفكر اليميني الصهيوني، ويمثل نموذجاً للشخصية الإرهابية بكل معنى الكلمة التي أفرزتها الحركة الصهيونية العنصرية.. يعمل ويكسب – هو وجماعته – التأييد لحرب فيتنام، والتورط الأمريكي في تلك البلاد.

ففي عام ١٩٦٨م، أصدر كتاباً بعنوان «شريحة اللحم اليهودي في فيتنام» قال فيه: «إنه في حال تخلي الولايات المتحدة الأمريكية عن التزاماتها في فيتنام الجنوبية، فإنها سوف تتخلى عن إسرائيل»، وبناء على ذلك أخذ «كاهانا» وجماعته يحثون اليهود الأمريكيين بحماس شديد على تأييد التدخل العسكري الأمريكي في فيتنام، وكانت دراما القتل والتعذيب للفيتناميين لا حصر لها، ولكن بعد هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام، انهارت أحلام الحاخام كاهانا، فكتب يقول: «لقد عرفت أن أيام اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت معدودة، وأن أمريكا كانت نمراً من ورق، وهي لن تحارب من أجل إسرائيل»!!؟

ومن هنا بدأ «كاهانا» في تأسيس «عصبة الدفاع اليهودية»، وقد ساعده في ذلك عمله كمحرر في «الصحافة اليهودية» التي كانت تطبع في بروكلين، وتعتبر أكبر صحيفة يهودية في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر الستينيات، وساعده ذلك في أن يطلع على أحوال اليهود ويساعدهم في أمريكا وغيرها، ثم كوّن عصابة من اليهود في إحدى ضواحي بروكلين أُطلق عليه اسم «رابطة الدفاع اليهودية» واخذ شعاراً له «البندقية والتوراة»، ونفذ عدة عمليات إرهابية ضد مؤسسات، وسفارات عربية

وسوفييتية، ففي ديسمبر عام ١٩٦٩م، هاجمت الرابطة مكاتب كل من وكالة تاس السوفييتية للأنباء، ومكتب السياحة السوفييتي، ومكتب الخطوط الجوية السوفييتية «إيروفلوت» في نيويورك، كما اقتحم أعضاء في الرابطة طائرة ركاب سوفييتية كانت رابضة في مطار كينيدي، وكتبوا على جدرانها عبارات معادية للسوفييت.

وفي عام ١٩٧٠م، هاجم أعضاء في الرابطة مكتب «إيروفلوت» بنيويورك بالقنابل، وفي عام ١٩٧١م، أطلقوا الرصاص على دبلوماسي سوفييتي لدى الأمم المتحدة، واقتحموا مكاتب لجنة الإعلام العربي، وهاجموا الموظفين العرب، ومن المفارقات أن رابطة الدفاع اليهودية تعاونت مع زعماء المافيا في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعلن «كاهانا» أن معظم اليهود الأمريكيين هم أسوأ حالاً من العميان، وأنهم منافقون(١).

وفي مطلع السبعينيات ظهرت على مسرح الحوادث في الكيان الصهيوني «حركتان» بالغتا الخطورة، نظراً إلى أيديولوجية العنف والإرهاب – إذ على الرغم من أن هذا الأسلوب هو في الأصل أساس الفكر الصهيوني، إلا أن هذا المنهج الجديد متشبع أكثر بالإجرام – هما: «حركة كاخ»، ومعناه السيف في يد والتوراة في اليد الأخرى، والعرب في نظرهم قنبلة موقوتة لابد من القضاء عليهم، وحركة «غوش إيمونيم»، التي لا تقل عنفاً عنها. و«كاخ» هي امتداد لروابط الدفاع اليهودية سالفة الذكر ومنهجها الأساسي يتلخص في تصفية الوجود العربي داخل فلسطين واللجوء إلى القوة، واستخدام العنف من أجل إقامة دولة يهودية نقية العنصر.

حاولت هذه الجماعة نسف المسجد الأقصى، وارتكبوا كثيراً من جرائم القتل والإرهاب، وفي الحقيقة كلها عصابات إجرامية تهوى وتتكسب من انتشار القتل والتخريب والتدمير.

* * *

ومن هنا نؤكد أن ما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، صناعة وتنفيذ صهيوني أمريكي، والأدلة على ذلك كثيرة، ولا تحتاج إلى إثبات، لأن المستفيد الأول والأخير

---

[1] الدوحة ١٩٨١/١/١م.

مما حدث.. هم الصهاينة، وأهم مكسب لهم إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، ولا يمكن أن تكون مصادفة أن يصدر كتاب في فرنسا، وتقرير في أمريكا في الوقت نفسه، ليؤديا إلى هذا التحليل نفسه، فما بالنا والأخبار عن علم أمريكي مسبق على مستوى البيت الأبيض بوقوع هجمات إرهابية في ٢٠٠١/٩/١١م، يتم تأكيدها من مصادر أمريكية رسمية يوماً بعد يوم.

أحدث النظريات لحوادث ١١ سبتمبر، جاءت أغرب من الخيال، ومنها كتاب فرنسي للكاتب «ثيري ميسان»(٢) تصدر قائمة أفضل المبيعات في فرنسا، أما النظرية التي تبناها (ميسان) فتتلخص في أن المسؤول عن كارثة ٢٠٠١/٩/١١، هو «الحكومة الأمريكية» نفسها، حيث دبرها بعض مسؤولي الحكومة كجزء من خطة اقتصادية عسكرية.

ويستبعد ميسان فكرة أن تكون الطائرتان اللتان اصطدمتا ببرجي مركز التجارة العالمية كانتا بقيادة أفراد من تنظيم القاعدة، ويؤكد أن هناك ما يثبت أن الطائرتين كانتا توجهان من الأرض بواسطة أجهزة تحكم عن بعد، ويؤكد أن مسؤولين حكوميين وعسكريين أمريكيين كانوا وراء الهجمات التي راح ضحيتها حوالي ٣ آلاف ضحية، والدافع هو إيجاد مُسوِّغ طال البحث عنه والتخطيط له لضرب أفغانستان والعراق، والسيطرة على العالم والانتقام من الإسلام والمسلمين، وهو حقد دفين قد سجلناه على هذه الصفحات.

ونؤكد هنا أن المسلمين أكثر حضارة من العلمانيين الأمريكيين، الذين جعلوا بعض الجنود يعتدون على كتاب الله الأعظم في قاعدة للجيش الأمريكي في «غوانتانامو» بكوبا، ولم يصدر من اليونسكو أو أي جهة أخرى ما يدين هذا العمل، وهو العدوان على كتاب الله المقدس بوضعه في مكان غير لائق بالتوقير والاحترام والقداسة.

---

[٢] ترجم الكتاب إلى العربية وصدر بعنوان «الخديعة الكبرى».

وقياساً على التاريخ المسجل للصهيونية في الإجرام والإرهاب، نقول إن ما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، صناعة صهيونية أمريكية خالصة، أرادت أن تربك به العالم وتشيع فيه الفوضى والفتن، وتلصق التهم بالإسلام والمسلمين، وتدّعي أن منطقة الشرق الأوسط مصدرة للإرهاب، لأنها منطقة جهل وخراب، وهم أصحاب العلم والمعرفة!!

واستغلت إسرائيل الحادث استغلالاً إعلامياً لا مثيل له، وأصبح الشرق محاصراً بالتهم، وعليه الدفاع عن نفسه، وتحول المجرم إلى حمل وديع يحتمي بقوانين الغطرسة، ويدّعي أن العرب إرهابيون، ومن هنا كانت الحماية الأمريكية واجبة لليهود، تفصل القوانين لحمايتهم، وتسعى الدولة الكبرى لتنفيذ مخططات الصهيونية.

الباب الخامس

معاداة "السامية" .. اختراع صهيوني

- همومنا كثيرة ومتشعبة

وآمالنا كبيرة .. واسعة

وطموحاتنا.. براكين تغلي

الفصل الأول

القانون الأمريكي لتعقب معاداة السامية

رأينا فيما سبق كيف خرجنا من مسرح الحضارة والتقدم، وكيف وضعنا أنفسنا خلف سد منيع بعيداً عن حركة التقدم.

وفي الحقيقة لم نضع أنفسنا برغبة منا خلف حائط مسدود.. ولكن الغرب أدرك وفهم سر حضارة الإسلام وتفوقه، فاستطاع بأدوات مختلفة، وبمنهج ملتزم وقوي أن يسرق مفاتيح الحضارة والتقدم، ثم عمل على تطوير ما أمكن تطويره، وسار بخطى سريعة في تنفيذ مؤامراته، وقد أحكم التخطيط، وحرص على متابعة خطواته واضعاً نصب عينيه أن لا رجعة إلى الخلف مرة أخرى، ثم بدأت شباكه تنصب وتدور حول عالمنا العربي الإسلامي الذي غرق في مشكلاته وخلافاته الداخلية، وأصبح عالماً يدور ويلف في متاهة.. بينما الآخر يتقدم، ويحكم بتقدمه وآلياته الحديثة.. مقدرات الشعوب العربية والإسلامية.

ومن هنا بدأ الإعلام الغربي عامة، والصهيوني على وجه الخصوص في حياكة المؤامرات للعرب، وإغراقهم بالخلافات، وهو يثير الفتن ويشعلها ناراً متأججة دائماً، ويطلق على العرب أنهم همج برابرة، لا حضارة لهم، بل هم أعداء للسامية في كل مكان وزمان، لتروج الصهيونية لهذه الفكرة وغيرها خدمة لأهداف حركتها، بينما عجز الإعلام العربي والإسلامي في المقابل عن إظهار الحقيقة التي سجلناها من قبل من أن حوادث التاريخ اليهودي قد شهدت بعض حوادث العنف ضد الجماعات الصهيونية في المجتمعات التي عاشوا في رحابها، فإن كل حادثة، كانت إفرازاً لظروف خاصة بالمجتمع، والعصر الذي حدثت فيه، ولا يمكن أن نضعها جميعاً في سياق واحد.

وتظل كل حادثة من هذه الحوادث قائمة بذاتها في إطار ظروفها التاريخية الخاصة، فلا يمكن أن نضع الحوادث الناتجة عن التعصب الديني في إطار واحد مع الحوادث الناتجة عن التخلخل الاقتصادي السياسي.

وما حدث إبان الحروب الصليبية، لا يمكن ربطه بما حدث للصهيونية في أسبانيا، كما أنه لا يمكن ربط ما حدث لهم على أيدي الرومان سنة ٣٧٠م، أو ما حدث لهم في ألمانيا النازية في القرن العشرين وقد وضحنا ذلك من قبل، ولكن ما نريد إضافته هنا هو كيفية استغلال الإعلام الصهيوني لهذه الحوادث، وتحويل الباطل إلى حقائق، والأكاذيب إلى حوادث حقيقية، إعلام يقظ، نابع من حقد وكره تاريخي موثق، جعل الغرب يعيش كرهاً وحقداً للعرب عبر عصور مختلفة.

وحتى الآن نرى تعاطفاً أمريكياً غربياً للصهيونية، ونؤكده بوثيقة سياسية صدرت في نص قانوني أمريكي لتعقب معاداة السامية عالمياً.

نص القانون الأمريكي لتعقب معاداة السامية عالمياً

فيما يلي ترجمة عربية أعدها مكتب الدكتور «علي الغتيت» أستاذ القانون، للنص الكامل لقانون «تعقب الأعمال المعادية للسامية عالمياً» الذي أقره الكونجرس الأمريكي يوم ٢٠٠٤/١٠/١٠م، وأقره الرئيس جورج بوش يوم ٢٠٠٤/١٠/١٦م:

قانون لتعقب معاداة السامية عالمياً

(الكونجرس في دورة الانعقاد الـ (١٠٨)

الجلسة الثانية

S.٢٢٩٢

قانون

بإعداد تقرير عن أفعال معاداة السامية في العالم.

يصدر البرلمان ومجلس الشيوخ الأمريكي في هذا الصدد القوانين التي يجمع عليها أعضاء الكونجرس.

المادة ١ : العنوان

يمكن أن نطلق على هذا القانون «قانون لتعقب معاداة السامية عالمياً لعام ٢٠٠٤م».

المادة ٢ : حيثيات الإصدار

لقد توصل الكونجرس إلى النتائج التالية:

١ـ أن الحركات المعادية للسامية قد ازدادت بشكل ملحوظ ومضطرد في كل أنحاء العالم خلال السنوات العديدة الماضية، بما في ذلك أقوى الدول الديمقراطية.

٢ـ تبين وجود العديد من الشواهد لحركات العنف المعادية للسامية حول العالم خلال الشهور الثلاثة الأخيرة من عام ٢٠٠٣م، والثلاث الأولى من عام ٢٠٠٤، تتضمن الحوادث التالية:

أ ـ صرح رئيس الوزراء السابق «مهاتير محمد» في «بوتراجيا بماليزيا» في ١٦ أكتوبر ٢٠٠٣م أمام ٥٧ من القادة الوطنيين المجتمعين في مؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي، أن اليهود يحكمون العالم.. بالوكالة، ونادى بالانتصار

الأخير.. لمسلمي العالم الذين يبلغ عددهم (١.٣) بليون مسلم، والذي قال إنه لا يمكن هزيمتهم بحفنة ملايين من اليهود.

ب ـ تمت مجموعة تفجيرات متتالية لسيارات مفخخة خارج معبدين يهوديين مكتظين بالمصلين، وذلك في مدينة «استانبول» بتركيا يوم ١٥ نوفمبر ٢٠٠٣م، ونتج عن هذا الحادث مقتل أربعة وعشرين شخصاً، وإصابة أكثر من مئتين وخمسين شخصاً آخرين.

ج ـ في ولاية «تسمانيا» بأستراليا، في الخامس من يناير ٢٠٠٤م، استخدمت مواد سامة لإشعال وحرق الشعارات المعادية للسامية داخل حدائق مبنى البرلمان.

د ـ في «سانت بيترزبرج» بروسيا، قام مخربون في الخامس عشر من فبراير ٢٠٠٤م، بانتهاك حرمة نحو خمسين من المقابر اليهودية ورسم الصليب المعقوف على شواهد القبور وحفر الشعارات المعادية للسامية عليها.

هـ ـ وفي «تورنتو» بكندا، قام مخربون في الفترة من ١٩-٢١ مارس ٢٠٠٤م، وكانت تصادف عطلة نهاية الأسبوع بمهاجمة مدرسة، ومقبرة، وهياكل لليهود، وقاموا برسم الصليب المعقوف، وكتاب الشعارات المعادية للسامية على جدرانها، وأيضاً على المباني السكنية المجاورة، التي كانت الغالبية منها ملكاً لليهود في هذه المنطقة.

و ـ في «طولون» بفرنسا، تم إشعال النار في هيكل لليهود، ومركز لتجمعهم، وحدث ذلك في الثالث والعشرين من مارس ٢٠٠٤م،

٣ـ لوحظ أن الأنماط الحديثة والقديمة «المعادية للسامية» في ازدياد مستمر، خصوصاً تلك الصادرة عن العالم العربي والإسلامي المتمثلة في إصدار الكتب من خلال جهات النشر الحكومية في مصر ودول عربية أخرى.

٤ـ أذاع التليفزيون المصري في نوفمبر ٢٠٠٢م، مسلسل «فارس بلا جواد»، وهو معاد للسامية، وتقوم فكرته على أساس النظرية الخيالية للمؤامرة المعروفة باسم بروتوكولات حكماء صهيون، تلك البروتوكولات التي استخدمها في القرن

الماضي زعماء من أمثال «أدولف هتلر» ليسوِّغ بها ما قام به من عنف ضد اليهود.

٥- أيضاً في نوفمبر ٢٠٠٣م، قام التليفزيون العربي بإذاعة مسلسل آخر معاد للسامية بعنوان «الشتات» ويصور فيه الشعب اليهودي على أنه يتآمر من أجل أن يسيطر اليهود على العالم.

٦- وقد دفعت هذه الموجة المتزايدة الحدة من العنف المعادي للسامية المنظمات الدولية، مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، لتقديم منظور جديد للقضية، وعرضه في المؤتمر الذي عقدته المنظمة خصيصاً في «فيينا»، من أجل مناقشة معاداة السامية، وكان هذا خلال يونيو ٢٠٠٣م.

٧- كما عقدت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا مؤتمراً آخر في المدة من ٢٨-٢٩ إبريل ٢٠٠٤م، في «برلين» لمناقشة مشكلة العداء للسامية بحضور الوفد الأمريكي برئاسة «إد كوش» العمدة السابق لمدينة نيويورك.

٨- وقد بذلت الحكومة الأمريكية جهوداً مكثفة لمناقشة قضية العداء للسامية من خلال علاقات ثنائية، وتعاون مع المنظمات الدولية، مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة.

٩- وقد ساند الكونجرس الأمريكي باستمرار الجهود المبذولة لمناقشة العنف المعادي للسامية، ففي خلال دورة الانعقاد الـ (١٠٧) قام كل من مجلس الشيوخ، والبرلمان بإصدار قرارات تعرب عن قلق كبير فيما يتعلق بتصاعد العنف ضد السامية في أوروبا، ودعا الكونجرس وزارة الخارجية الأمريكية إلى توثيق تلك الظاهرة بعناية.

١٠- اتخذت الحركات المعادية للسامية في بعض الأحيان أشكالاً لتشويه «الصهيونية» و«الحركة القومية اليهودية»، والتحريض ضد إسرائيل.

المادة ٣ : تقدير الكونجرس

ثبت في يقين الكونجرس أنه:

١ـ يجب على الحكومة الأمريكية أن تستمر في دعم الجهود اللازمة لتقويض حركات العداء للسامية في أنحاء العالم، وذلك من خلال العلاقات الثنائية، والتواصل مع المنظمات الدولية مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة.

٢ـ يجب على وزارة الخارجية أن توثق وتتابع عن كثب القوانين والحركات المعادية للسامية في أنحاء العالم.

المادة ٤ : التقارير

تقدم وزارة الخارجية الأمريكية إلى لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، وكذلك للجنة العلاقات الدولية في البرلمان، في موعد أقصاه ١٥ من نوفمبر ٢٠٠٤م، تقريراً عن الأفعال المعادية للسامية في أنحاء العالم، يتضمن وصفاً للآتي:

١ـ أعمال العنف البدني ضد، أو التحرش باليهود، وأعمال العنف أو التخريب لمؤسسات المجتمع اليهودي كالمدارس والمعابد والمقابر التي حدثت في كل بلد.

٢ـ رد فعل حكومات تلك الدول على تلك الأعمال.

٣ـ الإجراءات التي تتخذها الحكومات من إصدار، وإنفاذ القوانين المتعلقة بحماية الحق في ممارسة الحرية الدينية للشعب اليهودي.

٤ـ الجهود التي تبذلها تلك الحكومات لتشجيع تعليم عدم الانحياز والتسامح.

٥ـ أمثلة لحملات الدعاية في الإعلام الحكومي، وغير الحكومي التي تحاول تسويغ، أو تشجيع الكراهية العنصرية، أو أعمال التحريض، أو ممارسة العنف ضد الشعب اليهودي.

المادة ٥

الترخيص بإنشاء مكتب لمراقبة ومحاربة المعاداة للسامية

قانون السلطات الأساسية لوزارة الخارجية لعام ١٩٥٦م، يعدل بإضافة المادة الجديدة التالية بعد الفقرة ٥٨ (C.S.U ٢٢٢٧٣٠) :

المادة ٥٩ مراقبة ومكافحة معاداة السامية

أ ـ مكتب لمراقبة ومكافحة الحركات المعادية للسامية:

١ـ تأسيس المكتب:

ينشئ وزير الخارجية الأمريكي داخل وزارة الخارجية مكتباً لمراقبة ومكافحة الحركات المعادية للسامية (المشار إليه في هذه الفقرة بالمكتب).

٢ـ رئاسة المكتب:

(أ) مبعوث خاص لمراقبة ومكافحة الأعمال المعادية للسامية: يرأس المكتب المبعوث الخاص (الذي سيتم تعيينه) لمراقبة ومكافحة الأعمال المعادية للسامية (المشار إليه في هذه الفقرة بالمبعوث الخاص).

(ب) ـ تعيين رئيس المكتب: يقوم الوزير بتعيين المبعوث الخاص، ويكون من بين موظفي وإداريي الوزارة، إذا تراءى له ذلك، وللمبعوث الخاص الحق في الاحتفاظ بمنصبه السابق ومسؤولياته التي كانت له قبل تعيينه مبعوثاً خاصاً.

ج ـ أهداف المكتب: يتولى المكتب بعد تأسيسه المسؤوليات الأولية التالية:

١ـ مراقبة ومكافحة الأفعال المعادية للسامية، وكذلك التحري المعادي للسامية، الذي يظهر في الدول الأجنبية.

٢ـ التنسيق والمساعدة في إعداد جزء من التقرير المنصوص عليه في الفقرة ١١٦ (د) (٧) و ٥٠٢ ب (ب) من قانون المساعدة الخارجية لعام ١٩٦١م،

(b.s.u.٢٢ ٢٣٠٤ AND (C.٢١٥١n(d)(٧) والمتعلق بتقديم ووصف طبيعة، ومدى الأفعال المعادية للسامية وأعمال التحريض المعادية للسامية لتضمينها في التقرير السنوي للدول عن ممارسات حقوق الإنسان فيها.

٣ـ التنسيق والمساعدة في إعداد جزء من التقرير المنصوص عليه في الفقرة (B)(٦٤١٢ ٢٢u.s.C. Aiw (I)) والمتعلق بتقييم ووصف طبيعة ومدى الأفعال المعادية للسامية وأعمال التحريض المعادية للسامية لتضمينها في التقرير السنوي عن الحريات الدينية حول العالم.

د ـ الاستشارات: يقوم المبعوث الخاص باستشارة المنظمات الداخلية والدولية غير الحكومية، والمنظمات المتعددة الأطراف والهيئات، على الوجه الذي يراه ملازماً لتحقيق الأهداف المطلوبة من هذه الفقرة.

المادة / ٦ /

تضمن المعلومات الخاصة بالأعمال المعادية للسامية

في الدول الأجنبية في التقارير السنوية لوزارة الخارجية

أ ـ التضمين في التقرير السنوي لممارسات حقوق الإنسان:

حيثما يمكن التطبيق، وصف لطبيعة ومدى الأعمال المعادية للسامية، والتحريضات المضادة للسامية التي ظهرت في العام السابق، حيث يتضمن الوصف:

أ ـ ممارسات العنف البدني ضد، أو التحرش بالشعب اليهودي، وحركات العنف، أو التخريب لمؤسسات المجتمع اليهودي، بما في ذلك المدارس، والهياكل، والمقابر.

ب ـ حملات إعلامية للدعاية في الإعلام الحكومي، وغير الحكومي، الذي يبرز، أو يشجع الكراهية العنصرية، أو يحرض على حركات عنف ضد أفراد الشعب اليهودي.

ت ـ مواقف وردود فعل حكومات تلك الدول، إن وجدت، على هذا العنف، وجهودهم للقضاء على تلك الحملات، والتحريضات.

ث ـ موقف الحكومات من إصدار وإنفاذ القوانين المتعلقة بحماية الحق في ممارسة الحريات الدينية للشعب اليهودي.

ج ـ جهود تلك الدول لتشجيع تعليم عدم الانحياز والتسامح.

ثانياً ـ بعد الجملة الرابعة من الفقرة (C.S.U.٢٢ C٥٠٢B(b)٢٣٠٤)، بإدراج الآتي:

(أينما يمكن التطبيق، وصف لطبيعة، ومدى الأعمال المعادية للسامية، والتحريضات المضادة التي تظهر، بما في ذلك وصف لتلك الحركات في الفقرة ١٦ د (٨).

ب ـ التضمين في التقرير السنوي لحرية ممارسة الدين:

تعـدل الفقـرة ١٠٢ (ب) (١) (القـانون الـدولي لحريـة ممارسـة الـدين لعام١٩٩٨م،(٢٢ C.S.U ٦٤١٢ (A)(I)(b)).

ج ـ تاريخ نفاذ الإضافات:

التعديلات التي أدخلت على الفقرات الفرعية (أ) و(ب) ستطبق بداية من موعد تقديم التقرير الأول المتضمن للفقرات (١١٦) (د) و(٥٠٢) عن قانون المساعدة الخارجية لعام ١٩٦١م، (٢٢ C.S.U ٢١٥١n). و(٢٣٠٤) (ب)، والفقرة (١٠٢) (ب)، من القانون الدولي لممارسة الحرية الدينية لعام ١٩٩٨م، C.S.U ٦٣١٢ b) (٢٢ الذي يتم تقديمه بعد مضي (١٨٠) يوماً من تاريخ تفعيل هذا القانون.

تم التصديق عليه من مجلس الشيوخ الأمريكي في١٠أكتوبر٢٠٠٤م. ووقعه الرئيس بوش في ١٦ أكتوبر ٢٠٠٤م.

فأي عصر هذا الذي نعيش فيه، نرى ونسمع بأكاذيب تختلق وتصبح حقائق وتصدر أكبر دولة في العالم وثيقة تخدم أطماع فئة مجرمة تعيش على الاغتصاب، وإشاعة الإرهاب في العالم.

فهل هذه هي «الديمقراطية» التي يريدون تصديرها للعالم العربي والإسلامي؟!.

يا لها من سخرية غريبة بحقوق الإنسان!، وإعلامنا يقف ليشاهد، ويتلقى الضربات دون أن يفضح مؤامرات الجاني، ويثبت للعالم أجمع أن الابتزاز الصهيوني الحالي للأوروبيين والأمريكيين، والإفراط في استخدام سلاح (معاداة السامية)، ضد كل من ينتقد السلوك الوحشي للإسرائيليين ضد الفلسطينيين العزل، وما هذا إلا حلقة من حلقات الصهيونية العالمية التي تهدف إلى السيطرة على العالم، وهذا خير دليل على تنفيذ بروتوكولاتها بدقة وتفانٍ.

ويؤكد هذا الفكر «روجيه جارودي» في كتابه «ملف إسرائيل» بقوله:

اللاسامية في الواقع مذهب يسير في خط متوازٍ مع الصهيونية السياسية، وهذه «اللاسامية» تلقي مسؤولية جرائم الصهيونية السياسية على مجموع شعب إسرائيل وعلى كل يهود العالم في حين أنهم داخل إسرائيل وخارجها ضحايا أساليب التزييف الفكري التي ترتكبها الصهيونية السياسية التي تسعى دائماً إلى التفرقة العنصرية والاستيلاء بالقوة والاغتصاب.

ومن هنا نقول نحن لسنا أعداء سامية كما يدعون، وعلينا إعلامياً أن نقدم في كل وسائل الإعلام وبأحدث الأساليب لتبديد غشاوة الكذب..

نعم الذي يهيمن على الإعلام أفكار غربية هدامة تسعى إلى هدم العقول الجادة في المنطقة العربية والإسلامية، ويتزعم نظام العداء للإنسانية قيادات إسرائيل التاريخيين وعلى رأسهم «بيجن» الذي وصفه «بن جوريون» ذاته بأنه هتلري بمعنى الكلمة.

ويؤكد «جارودي» هذا المفهوم في كتابه سالف الذكر بقوله: «ليس العيب في الأشخاص ولكن العيب في العقيدة ذاتها، عقيدة الصهيونية السياسية، التي بالغوا فيها ودفعوا بها إلى آخر حدودها».

الفصل الثاني

سرقة التراث والتاريخ والفنون

تعمل إسرائيل منذ نشأتها على إبادة الفلسطينيين إبادة كاملة، حتى يتسنى لها السيطرة على العالم العربي، وهذا التخطيط لم ينشأ من فراغ، فهناك محاولات مستميتة ومخططة للاستيلاء على أرض العرب، ومن هنا كانت فكرة سرقة التراث الفلسطيني والعربي أيضاً.

إن سرقة التاريخ العربي في فلسطين والمنطقة العربية، من خلال اختلاق دور تاريخي لليهود في التصدي للعدوان الصليبي، بشكل يوحي بأن اليهود هم أصحاب الأرض، وأنهم تعرضوا للعدوان، ودافعوا عن البلاد، وهو أمر تسعى الصهيونية لتثبيته، وهو الدور التاريخي المزعوم في الأراضي العربية التي سرقوها.

وهو الدور نفسه الذي قامت به الحروب الصليبية منذ تسعمائة سنة، فهناك تبادل في الأدوار، والتاريخ يعيد نفسه، حيث امتدت النزعة العدوانية الإسرائيلية إلى العرب والمسلمين، كما كانت أيام الحروب الصليبية.

ولذلك حاولت الصهيونية سرقة التاريخ العربي من خلال محاولة اختلاق دور تاريخي لليهود في مواجهة الصليبيين على أرض فلسطين، فهو أمر يتصل بالدعاية السياسية للحركة الصهيونية، وحرصها على استخدام الأدب والفن في خلق أكبر ضجة حول المشكلة اليهودية.

فالمؤرخون اليهود يتحدثون عادة عن اليهود الذين قتلوا في فلسطين دفاعاً عن مدنهم وقراهم التي هاجمها الصليبيون..!! ويركزون الحديث على يهود مدينة القدس، على الرغم من أن اليهود كانوا يعيشون في عزلة فرضوها على أنفسهم في مناطق كثيرة من العالم العربي والإسلامي، وكانوا يتمتعون بالحريات الدينية والاقتصادية

والاجتماعية في ظل شريعة الإسلام السمحة؛ والتي تعطي غير المسلمين من أهل الذمة حقهم في كل أمور الحياة وتوجب على المسلمين حمايتهم لقاء جزية، التي هي في حقيقة الأمر ضريبة دفاع.

ويقول «الدكتور محمد أبو الغار» في كتابه «يهود مصرمن الازدهار إلى الشتات»: «عند ذكر اليهود في أي شيء، تطفو على السطح كلمة العداء للسامية، وأنا بوصفي مصرياً أود أن أقول إنني لا أقبل من الذين اخترعوا العداء للسامية في أوروبا، وطبقوه خلال قرون طويلة بلا هوادة، وبكل عنف، أن يعطونا دروساً نحن الساميين في هذا الموضوع، لأن آباءنا وأجدادنا قد رحبوا باليهود الهاربين من العداء السامية، فسكنوا وعملوا في مصر بكل حرية، وكانوا جزءاً مهماً من المجتمع المصري».

ويؤكد قائلاً: «في أوائل القرن العشرين على سبيل المثال كانت مصر ملاذاً لليهود الهاربين من صعود النازية، ورحبت بهم الحكومة والشعب، واشترك المصريون مع اليهود في أعمال ومشروعات كثيرة».

وفي الثلاثينيات من القرن العشرين وافقت الحكومة المصرية على إصدار عشرات الصحف اليهودية، وقد رأس الدكتور طه حسين في الأربعينيات تحرير مجلة مصرية أدبية مهمة وهي «الكاتب المصري» وكان أصحابها سبعة شركاء كلهم من اليهود بقيادة عائلة هراري.

وهذا خير دليل على أن اليهود كانوا يعاملون معاملة المواطنين، والصور كثيرة على مر التاريخ، والعداء للسامية اختراع صهيوني لتتكسب منه الصهيونية، وتكسب عطف العالم، وتزداد شراسة وإرهاباً في المنطقة.

وهذا يتماشى مع سياستهم التي نهجوها عبر تاريخهم المزور لحقائق التاريخ، وأصبح من السهل عليهم خلق القصص والخرافات والأكاذيب، ولم يقف الأمر بهم عند مجرد تسجيل الوقائع من وجهة نظرهم، بل وصل الأمر إلى القيام بعملية تشويه منظم للتاريخ العربي».

ويقول الدكتور قاسم عبده قاسم في كتابه «القراءة الصهيونية للتاريخ»: «ولم تقتصر حركة التأليف اليهودي على الدفاع عن صورة اليهودي من جانب، والتشويه لصورة العربي والمسلم من جانب آخر، وإنما أخذت لنفسها بعداً ثالثاً، يحاول إيجاد عملية ربط وتتابع بين ما أسموه زوراً وبهتاناً الحضارة اليهودية».

وهذا الحركة التي كانت تهدف إلى إحياء ما يسمى بالوعي القومي اليهودي، على الرغم مما هو معروف من أن الجماعات اليهودية في شتى أنحاء العالم لم تكن تملك لغتها القومية الخاصة، وإنما كانت تستخدم لغة المجتمع الذي تعيش في رحابه.

وبعد ما تم للصهيونية من اغتصاب الأرض الفلسطينية، بدأ التخطيط والتنفيذ لسرقة الإنسان الفلسطيني بتراثه وشحمه ولحمه، والسطو على كل مقدرات الشعب صاحب الأرض، ومن هنا بدأت الصهيونية في السطو على التاريخ، والتراث العربي، والفن العربي، والتقاليد العربية، وتضع القصص والحكايات لتؤكد صحة ما نسبته لدولة إسرائيل المزعومة.

فعل سبيل المثال ثمة مركز إسرائيلي للدراسات والبحوث الفولكلورية تابع للجامعة العبرية في القدس، يهتم بجمع وتسجيل ما يسمى بالتراث الفولكلوري الإسرائيلي، ولهذا المركز أرشيف يضم آلاف الصور الشعبية.

وكان التفكير في إنشاء جامعة عبرية في القدس من المهام الاستراتيجية لسرقة تراث العرب، فقد كلف «أينشتاين» بجمع التبرعات لهذه الجامعة، وبعدها حصل على جائزة نوبل كمكافأة له، وأصبح من مهمات هذه الجامعة السطو المنظم على التراث العربي. والإعلام العربي لم يعلن حربه وفضحه على هذه السرقات الفجة، وأبسط رد على هذا العمل الإجرامي هو سؤالنا، كيف يكون لهؤلاء تراث، ولم يكن هناك قبل عام ١٩٤٨م، شعب اسمه الشعب الإسرائيلي.. ولم تكن هناك دولة اسمها إسرائيل، لماذا نسكت عن هذا الكذب وهذا السطو؟.

إن التشكيك في هذه الأفاعيل الباطلة بأسلوب إعلامي يقظ هو مهمة جادة وتحتاج إلى تكاتف الأيدي، لأن التاريخ لم يطمس بعد، فالصهاينة في الأصل جماعات

تنتسب إلى قوميات مختلفة، وثقافات متنوعة، ومراحل حضارية متفاوتة، ولا يجمع بينهم سوى الدين اليهودي الذي لا يمكن أن يكون وحده أساساً لقيام أمة.

واستطاع الصهاينة في غياب الإعلام العربي اليقظ أن يصنعوا لأنفسهم تراثاً مسروقاً أساساً من التراث العربي، ومن يريد الحقيقة فعليه أن يتابع التراث العربي بكل ألوانه، وفنونه، فالأمثال الشعبية التي جسدت دورة الحياة الاجتماعية العربية من الولادة، والاحتفال بالمولود، وتربية الأطفال، والأغاني الشعبية المرتبطة بذلك لاتزال سارية إلى اليوم في جميع أرجاء المنطقة العربية، ورغم ذلك نجد التبجح الصهيوني ينسبها إلى نفسه على أنها تراث إسرائيلي، بالإضافة إلى الملابس المطرزة، والحلي، والمجوهرات، والمشغولات المعدنية، والحلويات خاصة الشامية، والأطعمة المصرية والفلسطينية والسورية والمغربية والسعودية وغيرها، يدعون أنها جميعاً نتاج التراث الشعبي اليهودي.

وتكتمل جوانب المخطط الصهيوني لسرقة التاريخ والتراث العربي بالرقصات، والأغنيات العربية التي يقدمونها للعالم بوصفها فنوناً شعبية إسرائيلية.

وخير دليل على السرقات الفجة ما يحدث من سرقة الآثار الفلسطينية وادعائهم أنها من آثارهم العتيقة. من ذلك البدعة التي طلعوا علينا بها وهي بدعة وضع لائحة للمواقع والآثار الدينية والتاريخية التي تحتاج إلى اهتمام ورعاية من دولة الصهاينة، وهي بدعة تعني في حقيقتها قضم وقرض التاريخ الإسلامي الفلسطيني، وفي ظاهرها أنها ستبدو أمام العالم المتحضر بمظهر المدافع عن الحضارة الإسلامية، والخطورة في أن هذه اللائحة تضم تحت أهم بنودها المسجد الأقصى، ذلك أنهم يزعمون أن تحته هيكل سليمان المزعوم. وبذلك يضمونه إلى تراثهم ونفقد مسجدنا الأقصى. ولا نظن أن للائحتهم حدوداً، مثلهم مثل حدود إسرائيل، فهم سيضمون قبر يوسف في نابلس، ومركز النبي موسى في أريحا، وحي البستان في سلوان، ومغارة سليمان، ومنطقة الحوض المقدس، وقبر المسيح، كلها استعدادات للقضم والضم.

وقد اشتهر عدد كبير من قادة الكيان الصهيوني بالبحث عن الآثار في كل مكان، ومحاولة إثبات أن هذه الآثار إسرائيلية ادعاء بالباطل، وبهذه الطريقة سرقوا كثيراً من

الآثار الفلسطينية والعربية في سيناء، كما أنهم نشطوا في أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان، ومازال مسلسل السطو مستمراً جهاراً عياناً بدون توقف، إلى أن اجتاحت أمريكا العراق واحتلته، ومكنت حاخامات إسرائيل من التنقيب في الأرض العراقية، وسرقة ما تقع أيديهم عليه، وخاصة في «منطقة بابل» والمشكلة ليست سهلة، ولا يجب أن تغفل الأعين عنها، بل لابد للإعلام أن ينشط بحملاته المدروسة المخططة علمياً وفنياً لكشف هذا المخطط الإسرائيلي، ليحد من نشاطه في المنطقة، ولابد من تغيير الصورة التي رسمها الغرب للعرب، على أنهم عالة على حضارة العالم، رغم أن الدلائل التي تثبت أحقيتها في حضارتنا، وتراثنا كثيرة، وليس لها حدود، ولا تحتاج إلى برهان.

ولكن الفرق في المنهج والأسلوب، وفي الإدارة التي تعمل لإثبات الحق، ومع أننا نمتلك الحق، ولكننا نتقاعس عن العمل، وإعلامنا في مسيرة خاطئة، يسير في قنوات رُسمت له ليضل طريقه، وقد حدث ما خُطط له، وسار الإعلام الغربي في منهجه المدروس منذ أن عرف طريق التقدم ومفاتيحه التي كانت في أيدي العرب وسُلبت منهم، بينما انشغل العرب تارة بمشكلاتهم، وتارة بالدفاع عن أوطانهم ضد الطامعين، وتارة أخرى باللهو والملذات، والعيشة الرغدة.

وليس غريباً علينا الآن موقف الغرب من العرب والمسلمين منذ الحروب الصليبية حتى الآن، فقد شجعوا الصهيونية على محاولة اختلاق دور إيجابي للصهيونية في العالم العربي لضمان السيطرة على أرض الخيرات والحضارات والأديان.

ويؤكد الدكتور قاسم عبده قاسم، والدكتور عبد الوهاب المسيري والعلامة محمود شاكر، وكثير من الكتاب العرب، أن هناك أوجه تشابه بين «الحركة الصليبية». و«الحركة الصهيونية»، وأهم هذا التشابه أن كلتا الحركتين استعمارية استيطانية، خدعت العالم باسم الدين، وارتكزت على مفهوم الخلاص، وقدموا للعالم صورة إعلامية كاملة مركزة لتدعيم الكيان الصهيوني، محاولين استغلال الأدب والفن

والتاريخ والآثار والفولكلور الشعبي ليقدموا أباطيلهم في صورة إعلامية مكتوبة، ولكن فيها ذكاء ودهاء ومهارة.

فالذين يبحثون عن صلة تربط الصهيونية بالتراث اليهودي، يرون في الحركة الصهيونية رمزاً لنهاية الآلام، ويرون فيها تحقيقاً للتحرر من حياة الشتات، ونهاية لحياة المنفى، وبداية للاستقرار.

ومن هنا نرى فكرة الخلاص في اليهودية، وقد وصفها بعضهم بأنها حركة خلاص علمانية في الفكر، وفي وسائل التنفيذ، وهذا يؤكد أن زعماء الصهيونية لعبوا بالدين، وهي فكرة الخلاص، وحاولوا تنفيذ هذه الفكرة بوسائل علمانية عن طريق استغلال الظروف السياسية، وتطبيق سياسة الاستيطان.

فالصهيونية على هذا الوضع هي الحلقات النهائية في تسلسل الحوادث التاريخية التي بدأت بالسبي البابلي، وهم بهذا يقولون بحتمية ظهور الصهيونية، ويفسرون قيام دولة إسرائيل على أنه تحقيق لرغبة كامنة في روح اليهودي منذ زمن سحيق، هي رغبة العودة إلى إسرائيل.

وكانت وصية «تيودور هرتزل» لقادة الحركة الصهيونية باستخدام الفن والتاريخ والإعلام بكل وسائله لخدمة الصهيونية، ويتضح في هذا الصراع التاريخي اهتمام الحركة الصهيونية بالبعد الثقافي للصراع منذ أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر، ممثلاً في حركة «بني موسى» التي كانت تصر على أولوية العمل الثقافي والتعليمي في فلسطين.

الفصل الثالث

تغييب الصهيونية للعرب

ظاهرة سرقة التاريخ العربي قديمة وليست وليدة اليوم، والذي شجعهم على ذلك غياب العرب عن الساحة وإنشغالهم بقضايا خلافية لا طائل منها، ولذلك جرت محاولات جريئة ومستمرة في مجال البحث والكتابة التاريخية استهدفت تحسين صورة اليهودي، وتضخيم صورة الإسهامات اليهودية الفردية في الحضارة الإنسانية عبر الزمان والمكان ومحاولة عزلها عن سياقها التاريخي، وإقحامها في سياق مصطنع، أطلق عليه الصهاينة تعبيراً متعسفاً هو «تاريخ الشعب اليهودي».

وإظهار العرب في صورة عجز وشلل شاذ وغريب، وأنهم عالة على إنجازات العبقرية اليهودية، ومحاولة إخراج اليهود الذين عاشوا في رحاب الحضارة العربية الإسلامية، من بيئتهم الحضارية، وافتعال هوية حضارية خاصة بهم.

وهذا ما يسميه الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته عن الصهيونية: «تغييب الصهيونية للعرب، فالصهيونية تعمل على تجريد الإنسان العربي عن وجوده حتى يختفي كلية، ويتحول من العربي المتخلف إلى العربي الغائب».

ولذلك ظهر لنا ما يتحدثون عنه من أدب يهودي، وفن يهودي، وهي أمور تجافي العلم والمنطق والتاريخ.

ومن الثابت أن السياسة الدعائية الصهيونية قد استغلت حال العداء التاريخي في أوروبا الكاثوليكية، وأمريكا تجاه المسلمين والعرب، وهو تراث متراكم من عصر الفتوحات الإسلامية، مروراً بعصر الحروب الصليبية، كما ذكرنا سابقاً، كذلك فإن عدم وجود وعي عربي بمدى خطورة الحركة الصهيونية في بدايتها، فضلاً عن التخلف الذي انغمس العرب فيه أيام الاستعمار الأوروبي، أعطى لصانعي الحركة الدعائية الصهيونية زاداً كافياً، ومادة غنية لرسم صورة العربي القبيح في الوجدان

الأوروبي والأمريكي كذلك، بل محاولة مسخ دور العرب التاريخي، أو إلغاء وجودهم نفسه.

انتهى الأمر ببعض حكامنا العرب بتصلب شرايينهم السياسية بعد تصلب شرايين قدرتهم على العمل، وحتى عجزوا عن مجرد الكلام الجاد، ومن غيبوبتنا بدأنا نحتمي من عدونا بعدونا نفسه، بل بدأ بعضهم يروج لفكرة العبقرية الإسرائيلية القادرة على انتشالنا من التخلف، بل إن بعض الأصنام الثقافية سارعت بالتبشير، لتحقيق هذا الموقف.

وفي خضم هذه الضبابية الثقافية، نسينا أولويات الصراع، وحقائقه البدهية، وبدلاً من أن نتقدم وندرس ونواجه كل ما يعترض طريق تقدمنا، تخاذل الإعلام، وخاصة بعدما جاءت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م على الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت فرصة ذهبية للصهيونية لكي تؤكد للعالم أن المسلمين هم سبب كل البلاء، وصعّدت حربها الإعلامية والثقافية ضد العرب، وسار الإعلام العربي في اتجاه معاكس للتقدم، والقدرة على تحمل مسؤولية حماية التراث العربي والإسلامي، وإبراز قيمته الحضارية والوقوف بمنهج علمي وموضوعي وتكثيف حملاته الإعلامية، برموز قوية لمواجهة الحملات المسعورة ضد العرب والإسلام، وأصبح المفهوم الإعلامي متخلفاً إلى حد كبير، وهمه الأول الترويج لفكرة الحاكم الفرد، ولهذا نرى أموالاً طائلة تهدر على الإعلام لتحسين صورة الحاكم أمام الغرب الأوروبي والأمريكي.

ويؤكد ذلك الأستاذ «صلاح الدين حافظ» في كتابه «تزييف الوعي»، «سقط الإعلام العربي في أسر الإعلام الأمريكي بصفة خاصة، والإعلام الغربي بصفة عامة، لكن الصحيح أساساً هو أن الإعلام العربي قد سقط منذ البداية وحتى النهاية، أسير النظم العربية الحاكمة والمسيطرة عليه بقوة الواقع، والممسكة به كوسيلة أساسية من وسائل القهر السياسي والثقافي والإعلامي، توازي تماماً الإمساك بالمؤسسة العسكرية، ومؤسسة الأمن كوسيلة قوية من وسائل القهر السياسي والاجتماعي والعسكري، في عالم متخلف سطحي الثقافة، ضعيف الهياكل السياسية والفكرية،

مقهور بالأمية والفقر، موصوم بطبائع الاستبداد، محروم من حقوق الإنسان»، فهو إعلام – رغم المظاهر البراقة – موجّه، تسيطر عليه الحكومات، وتنفق عليه ببذخ، لكي تضمن إحكام الرقابة عليه، وتصطنع له من القوانين والإجراءات ما يعوق حريته في العمل والتعبير، ومن ثم فهو إعلام يفتقد حرية الحركة، وسرعة المبادرة، وشجاعة الرأي، وكفاءة القيادات، ونقص الكوادر المبدعة».

ويضيف الأستاذ صلاح الدين حافظ: «أليس من المنطقي أن نتهم أنفسنا أولاً بالعجز والتقصير في كل شيء، وعلى كل جانب، أليس من الواجب علينا أن نفتح مثل هذه الملفات، لنعيد تقويم المواقف والأفكار والآراء والاتجاهات السائدة، بدلاً من أن نستمر أسرى الشلل والعجز والإحباط»..؟

وعندما نتحدث عن إعلامنا وعجزه، نستهدف من ذلك استنهاض كل مقوماته ليرى الحقائق ويقرأ التاريخ، ويقدم حضارتنا بصورة تتناسب مع لغة العصر، وإلا خرجنا نهائياً من الكيان الدولي.

فالمسؤولية الإعلامية كبيرة، وعليها واجب استنهاض الهمم للإصلاح، لأن الإعلام له قوته وسحره الذي يؤثر في العقول والوجدان.

وما نراه على الساحة من تأثير الإعلام يجعلنا نسرع الخطى، فرأينا كيف استطاع الإعلام الدولي المسيّس، أن يختصر قرناً كاملاً من الكفاح الفلسطيني مثلاً ضد الاغتصاب، فالاحتلال الصهيوني للأرض المقدسة في كلمة واحدة، صارت شائعة على ألسنة الكافة، هي العنف، شقيقة الإرهاب.

والعنف تهمة أُلصقت بالفلسطيني، وأصبح الجاني بريئاً، والمجني عليه مجرما خطراً على العالم، وهنا انساقت الصحافة، وباقي وسائل الإعلام العربية، وراء هذا التيار الإعلامي الهدام المستغل، وللأسف لهثنا وراء هذا الإعلام بمنظومته الخطرة علينا، وقدمنا مواده دون حذر في صحافتنا وعلى قنواتنا، بما فيها من مغالطات مقصودة، ومشوهة لحقائق التاريخ، فلماذا نساهم في تضليل شعوبنا؟

ويصور الأستاذ صلاح الدين حافظ، حالة إعلامنا فيقول: «ولعل تعامل صحافتنا وإعلامنا العربي بشكل عام مع قضية محورية في تاريخنا، هي الصراع العربي الإسرائيلي عبر مراحله المختلفة والمعقدة، يكشف ليس فقط جوانب التقصير، والعجز، ولكنه يكشف أيضاً الحقيقة الواضحة، وهي أن فاقد الشيء لا يعطيه. إن صحافتنا ووسائل إعلامنا مازالت مرتبطة في معظمها بعجلة الإدارة الأمريكية وبيروقراطيتها، مهما تحدثنا بكلمات ضخمة عن الاستقلالية والحرية.. إن الكلمة الرسمية هي النافذة، والأمر الحكومي هو السيد، وما عدا ذلك هوامش من الحرية، تلعب على أوتارها الهشة بعض الأقلام المتميزة، أو النافذة، أو المستوردة».

وقد جسد ذلك الفنان «مصطفى حسين» في الصفحة الأخيرة من الأخبار يوم ١١ يوليو ٢٠٠٥م في كاريكاتير لا ينقصه الصراحة عن «الهوهوة التي انطلقت حول قليل من الديمقراطية وتعليق جسد المشكلة، «دول ناس شافوا يدوب حتة ديمقراطية، قاموا اتسعروا». هل هذا معقول؟، في عصر سريع التغير، في عصر لا يعترف إلا بالمعرفة والعلم، عصر ثورة المعلومات، وتسابق المعرفة، والإعلام المتميز، أن نعيش في عزلة عما يدور حولنا، ونتكلم لغة لا يفهمها من حولنا، ونتحدث مع أنفسنا فقط.

ويغرق الإعلام العربي في بحر الهوس الذي يقدمه لنا الغرب، من موسيقى، وإيقاعات، ورقصات، وعري، وسلوكيات لا تنتمي إلى حضارتنا، ولا إلى القيم العربية الإسلامية في شيء، وما على شبابنا إلا أن يتلقى من إعلامنا وإعلامهم كل ما يهمش عقول الشباب والكبار، ويثير الفتن، ويبث الفوضى والفساد، والخلافات، والرعب، والفزع، والتخريب في الإنسان العربي واقتصاده، وتنمية قدراته، فأصبحنا نتلقى شعارات الغرب مثل الديمقراطية، وحرية المرأة، وحق الطفل في وقت تضيع فيه جميع حقوق الإنسان على مرأى ومسمع العالم.

أطفال تُقتل وتُشرد، وأوطان تُغتصب، ونساء تتمزق، وشيوخ تبكي كالأطفال، وأصبحنا نعيش هذه المشاهد من غير إحساس، لأن هناك إعلاماً يبث فينا اليأس، ويتكلم بلغة الفوضى، وعدم الوعي لإنقاذ مجتمعاتنا من الانهيار.

وما شهدته مصر في الآونة الأخيرة من إثارة الفتن بين المسلمين والأقباط، وبين إرهاب مفزع، وبين دعاوى باطلة لمناقشة مشكلات الأقليات، والهجوم على الحجاب بوصفه رمزاً للتخلف، وختان البنات، والتشكيك في القرآن الكريم والهجوم عليه، ومجموعة الكتب التي تصدر تباعاً لازدراء الإسلام والمسلمين، ولم يتصد الإعلام لهذه المحاولات التي نمت، ولم يتعرض لمشكلاتنا الحقيقية ولم يضع المناهج العلمية والإعلامية للخروج بالمجتمعات العربية من عنق الزجاجة.

ولكن ما نراه على الفضائيات العربية من الاحتفال بأكذوبة «عيد الحب»، الذي استوردناه، وأصبحنا نحن العرب والمسلمين نحتفل بعيد الحب، ويرمزون في الحب لشخص «القديس فالنتاين» الأوروبي يوم ١٤ فبراير من كل عام، لأنه كان يقوم بتزويج الأحبة، رغم قرار منع الزواج، وكأن تاريخ العرب والمسلمين يخلو من قصص الحب والرومانسية، وكأننا نسير مكبلين بعيون وثقافة وتراث الغرب.

نعيش أغراباً عن أنفسنا، في متاهات التقليد الأعمى لكل ما هو غربي، وما أسوأ أن تنسف لغتنا وحواسنا وأذواقنا، عندما يحاصرنا أمثال شعبان عبد الرحيم ليكون هو النموذج الأمثل للأغنية الوطنية «أحب عمرو موسى وأكره إسرائيل»، أو يوجه عتاباً للعرب ويقول: «يا عم عربي إمته هتفوق من اللي أنت فيه، جاي الطوفان عليك ومنتش داري»، ويدعوهم للتمسك بوحدتهم في صورة سيئة تدعو للسخرية، نسمع كلاماً رخيصاً هابطاً، يستهدف القضاء على الذوق العام مثل: «الجبل اشتكى من شعري».

وعلى هذا المنوال، حدِّث ولا حرج، ثم يظهر لنا مطرب غريب شكلاً ومضموناً، يدعى «ريكو» وينسف الذوق العام، ويغني قائلاً: «خليكي معايا على الخط وريهم هز الوسط، هزي بالراحة تفضلي مرتاحة.. هزيها بشويش خللي الشعب يعيش»، وتظهر البنات في حركات خليعة، والبطون عارية.. والأمثلة لا تعد على الحرب الشعواء على الذوق العام، وعلى الوجدان، والعقول العربية.

لو كنا نفكر بوعي إعلامي منهجي، لكان عيد الأضحى هو عيد الحب الحقيقي، فالحب في قلب سيدنا إبراهيم لله.. دفعه للاستجابة والطاعة بذبح ابنه أعز الناس إلى قلبه.

والحب في قلب سيدنا إسماعيل لأبيه إبراهيم عليه السلام، جعله يهتف بأبيه أن يذبحه في قمة من التضحية، والقصص العربية كثيرة، وتراثنا ثري بما هو رائع، ومتميز، مثل «رابعة العدوية» و«الخنساء»، وقصص الحب الرومانسي، مثل «قيس وليلى»، و«كثير عزة» و«إيزيس وأوزوريس»، و«كليوباترا».

عشرات من القصص الرائعة في التاريخ العربي والإسلامي، وفي ٢١ ديسمبر ٢٠٠٣م بمجلة نصف الدنيا، يعرض خالد منتصر جريمة انتهاك للطفولة على إحدى القنوات الفضائية قائلاً: «ساقني سوء حظي إلى مشاهدة مجموعة من الأطفال الذين لم يتعدوا التاسعة من العمر في عدة قنوات محلية وفضائية، وهم يتراقصون في دلال، وهز بطن بشكل فج وداعر، البنات عاريات البطون، والأولاد يخدمون عليهن، وكأنهم يزينون البضاعة في مزاد جوار علني، وبصقت على هذه الشاشة التي تقبل على نفسها، أن تروج لانتهاك الطفولة، وخدش البراءة، واغتصاب الشفافية».

«شاهدت برنامجاً يقدمه مطرب على قناة فضائية خاصة وهو يسأل الأطفال عن إحساسهم بالقبلة، أو كما نطق «البوس» وتعمد المطرب ومعه الأطفال أن يبرزوا الجانب غير البريء من إحساسهم بالقبلة».

هل هذه هي المناداة بحقوق الطفل، وعام الطفل، وغيرها من الألفاظ التي يتشدق بها الإعلام العربي ليرى الرؤية الغربية ويجاريها، وهو في الوقت نفسه يقضي على أجيال الغد بانتهاك القيم بالأغاني الهابطة والعري المفضوح.

هل آن الأوان لي يقف الإعلام وقفة حازمة نحافظ فيها على البراءة في زمن «البيزنس».. بدلاً من أن تتعارك العقول العربية لكي تثبت كل فئة أنها أوعى من الأخرى، وهذا شائع في القنوات الفضائية، وخاصة الجزيرة التي صكت لنفسها حقاً أريد به باطل، إنها تنتقد حكام العرب وسياساتهم، وتقوم بحملات إعلامية تبث الفرقة والفتنة في المنطقة، ولذلك جاءت الفرصة لتهاجم قطر من خلال حدث غريب، وهو

إلغاء الجنسية عن «٦٠٠.٠٠٠» ستمائة ألف قطري، ويقصد قبيلة (بني مر) لأنها وقفت مع الأمير المخلوع السابق.

أي هراء هذا، وأي خداع هذا، وأي إعلام يعيش على نبش القبور، والهجوم على الإخوان، والأهل، والكل في الهم والقيد سواء.

إن همومنا كثيرة ومتشعبة، وآمالنا كبيرة وواسعة، وطموحاتنا براكين تغلي، وربما تولد انفجاراً هائلاً ومرعباً، إن لم نستطع أن نحقق للإنسان العربي حقوقه الدنيا على الأقل، كحقه في التعبير عن رأيه بحرية، مع تكافؤ الفرص، والتميز للأفضل.

يعد تحقيق العدالة الاجتماعية والتضامن والتكافل الاجتماعي، السبيل الوحيد للنهوض بأمتنا، أو على الأقل لضمان استمرارها وتطورها وبقائها، وعلينا أن نتدارك الأمر وننهي العصبيات بكل أشكالها وأبعادها، ونجعل الانتماء الحقيقي، والعطاء الأمثل خدمة الوطن، والمحافظة عليه من الإسفاف، والهدم الذي يحيط به من جميع وسائل الإعلام المحلية، والفضائيات المختلفة التي تتبارى في تقديم أخس البرامج وأحطها في وقت نحن في أمس الحاجة إلى تدعيم تراثنا وتقديمه بصورة تليق بحضارتنا التي يحاصرها الغرب بكرهه، الذي ينبع من الصراع القديم الذي سجلناه على هذه الصفحات السابقة، وهو في الأصل صراع حضاري بين قوى غير متكافئة، قوة سرقت كل شيء وتريد أن تفرض على الآخر التهميش والتقزيم، والأخرى تكتفي بالجمود الذي أصابها، وتقف شاهدة على حضارتها التي سُرقت، وتساعد الآخر على هدم شعوبها.

* * *

والآن لابد للإعلام العربي أن يتحمل مسؤولية النهوض بالهمم، ويتسلح بأدوات العصر ليدافع ويقدم كل ما يساعد على بناء العقل والوجدان العربي.

وعلى الإعلام الالتزام بقضايا المستقبل، التي تتعلق بحاجة المجتمعات العربية كالتنمية الشاملة المتكاملة، والتحرر من الهيمنة الإمبريالية بأشكالها كافة ومواجهة الاستعمار الصهيوني، وضمان الحريات الفردية، والجماعية، وتطوير الشخصية الثقافية، وتفتحها، وحماية الهوية العربية والإسلامية من الاختراق الثقافي والإعلامي، وتمكين الأمة العربية والإسلامية من الإسهام في الحضارة الإنسانية، وتدعيم التعاون والتقارب بين الشعوب.

- كلمة ختامية:

الآن وقد رفعنا النقاب دون وجل عن مسائل شائكة ومتشعبة تحتاج منا إلى إعادة الرؤية بمنهج علمي، وفكر مستنير واعٍ لحجم القضية التي هي صميم الوجود العربي... بآليات تتناسب مع لغة عصر المعرفة، ومفهومه.. عصر التقنية، عصر الفضائيات المفتوحة.

نحن نتملك أدوات التقدم وأهمها المال الذي يصنع التقنية والعقول التي تكشف جرائم أعداء السامية وأكاذيبهم.. بتكثيف الجهد وإيضاح خطط الإرهاب الصهيوني الذي يؤكده قول بن جوريون: «لن تتخلى إسرائيل قط عن القدس باختيارها.. فالقدس عضو حياتي وجزء لا ينفصل عن الدولة، وسيضحي اليهود بأنفسهم من أجل القدس، بما لا يقل عن تضحيات الإنجليز من أجل لندن والروس من أجل موسكو والأمريكان من أجل واشنطن»..!!

وكشف الأباطيل الكاذبة يحتاج إلى تكاتف المال العربي المسلم والعقول معاً لأننا أمام قوى حاقدة لا يستهان بها.. قوى تخطط وتدمر وتفسد كل ما حولنا.. وأدلل على ذلك بكتاب «كورت مودزير» «نحن صهيونيون» الذي صدر عام ١٩١٠م والذي يقول فيه: «نحن اليهود جعلنا كل شيء في العالم منحلاً ومتعفناً وفاسداً، فنحن الذين أشعلنا نيران الحروب وانتصرنا فيها وعرّضنا شعوب العالم للقتل، ونحن أفسدنا دم الشعوب الأوروبية كلها، وحولنا كل شيء إلى اليهودية، وتغلغلت أفكارنا في كل مكان، وأصبحت أرواحنا تدير الدنيا».

ومما لا شك فيه أن تفرض على العالم منهجية مدروسة ومبرمجة من تعليمات الصهيونية السياسية الإرهابية الواضحة في سياسة زعماء الصهيونية ومفكريها.. فيقول أوسكار ليفي في كتابه «الصهيونية» الذي صدر في العشرينيات «نحن اليهود أوقدنا نيران الحرب الكبرى، نحن خدعنا الدنيا وأحرقناها ولم تبدأ بعد ثورتنا النهائية، ولقد أوجدنا الطائفية والعنصرية، وأصبحنا حكام العالم وسادته، فما تسمونه اليوم قوة، وهو الثروة بعينها، إنما هو تمثال روحنا في أيدينا».

ولقد اعترف «هرتزل» نفسه بأن الصهيونية لا تؤمن بالمبادئ ولا بالمثل وإنما تقرر موقفها على أسس انتهازية مطلقة إذ يقول في كتابه «الدولة الصهيونية»:

«عندما تضعف قوتنا المالية نتحول إلى طبقة بروليتارية ثورية، وتصبح لنا فاعليتنا في القيادة الثورية، وعندما تتزايد هذه القوة تصبح المسيطرة على الخزائن»، واشترك اللورد «يوستاس بيرس» مع «هرتزل» في رأيه هذا فكتب في مقال نشره في ٢٢ مارس ١٩٢١م في مجلة «جويش كرونيكل» الصادرة في كندا يقول:

«حطمت الأفكار الليبرالية التي رافقها الكثير من الضجيج.. أبواب المعازل اليهودية، «الجيتو» وقدمت لليهود، حقوق الرعوية المتساوية، مع المواطنين الآخرين، وخرج اليهود إلى العالم الغربي.. قرؤوا ما فيه من قوة وعظمة، وراحوا يسيطرون عليه ويستخدمونه، ويتمتعون به ويضعون أيديهم فعلاً على المراكز المهمة في الحضارة الغربية، ويوجهونها ويتحكمون فيها ويستغلونها، ورفضوا عرض الرعوية المتساوية، وبات على اليهود في عالم السيادات الإقليمية المنظمة، أن تختار أحد الطريقين.. إما هدم النظام الذي يؤكد وجود الدول القومية في العالم، أو خلق السيادة القومية الخاصة به، واختيار السير في الطريقين معاً».

أفيقوا يا عرب !

هذه صفحات تكشف زيف العدو المتربص.. فما سجل بين دفتي هذا الكتاب يكشف القناع عن حقيقة ما يُبث من خلال قنوات فضائية أنشئت لتهدم دعائم الأسرة والطفولة والكرامة والمودة والحق.

أنشئت لتبث نيران الفتنة وتقزيم العقول وإثارة الجنس الرخيص لنرى أجيالاً مشوهة في كل شيء لا ترتبط بتراثها وجذورها.. هذه السياسة رسمها الغرب والصهيونية وأصرا على تنفيذها بأساليب مختلفة مستخدمين كل ما أتيح لهما من قدرة.

وقد نص بروتوكول حكماء صهيون في إصرار على الخطة الجهنمية وقال: «اعتدنا نحن حكماء صهيون، أن نجتمع مرة كل مائة عام بهيئة مجمع ديني، لنبحث

ما وصلنا إليه من تقدم نحو السيطرة التي وعدنا بها «يهوه» - وتعني في اللغة العبرية «إله إسرائيل» -، ونحو انتصارنا على عدوتنا المسيحية، وإننا إذ نجتمع هذا العام على قبر المبجل «سيمون بن يهودا» يمكننا أن نقول بكل فخر إن القرن الماضي قربنا نحو الهدف وإننا سنصل إليه قريباً».

والتحدي الحقيقي لأمتنا العربية والإسلامية هو استخدام ما وهبها الله من عقول وأموال لكشف هذا المخطط والتصدي له بالعلم والمعرفة وترك اللامبالاة والسلبية والجري وراء السراب، فقد أصبح استنهاض الهمم وبث الوعي مهمة الإعلام بكل أشكاله.. ولكن المهمة الكبرى تقع على الفضائيات التي تعد الجسر القوي والسريع في توصيل الرسالة المطلوبة.

قد يكون الوقت ليس في صالحنا ولكن ثقتنا في إرادة كل مسؤول ويقظته في وطننا الغالي.. يجعلنا نقضي على الصعاب ونواصل التقدم ومجابهة التحديات، وقد نختلف في الأساليب والرؤى ولكن يجب ألا نختلف في الهدف والمضمون والعمل الجاد والرغبة في المعرفة والتقدم. إن العمل الجاد يتطلب يقظة شاملة وحرية واعية مسؤولة.. وسواعد متكاتفة تعمل من أجل الوطن والأهداف النبيلة.

وبعد كشف تلك السياسات وقراءة حقائق التاريخ بالإضافة إلى خطورة ما يقدم من خلال الصورة والثقافة الحديثة خاصة أن الصورة هي بؤرة الإعلام المرئي وتشكل نظاماً متكاملاً.. له دلالته وقدرته في صنع القرار السياسي، وكما تتنوع اللغات والمهارات الإعلامية فإنه يجب على أمتنا العربية والإسلامية تطويع الإيجابيات لصالح قضية الإنسان من منظور ثقافته وتراثه وحضارته.

وهذا الواقع الجديد يضع الإعلام العربي والمسلم أمام مسؤولياته الجسام في حماية الثقافة العربية وتنوير الوعي العام، دون تشنج أو مبالغة، تثري فكر وخيال الطفل والشاب والمرأة والجمهور العربي بالتراث الثقافي والحضاري والفكري.

وتسعى إلى توعيته بالحقوق والواجبات بما يرسخ الجذور، ويعمق من الانتماء الأصيل، ويحفظ الهوية العربية من مخاطر الاختراق الفكري الثقافي للأجيال المعاصرة والقادمة.

الهوامش

(١) الهيئة الميدانية للجامعات الأمريكية « American Universities Field Staffs» تقرير رقم (٣٣) ١٩٧٩م، وفقاً لهذا البحث سيبلغ عدد سكان العالم ٦ بلايين عام ٢٠٠٠م. ويمكن تقسيم سكان العالم اليوم على النحو التالي: الصين ٩٨٥ مليوناً، الهند ٦٣٥ مليوناً، الاتحاد السوفييتي ٢٦١ مليوناً، الولايات المتحدة الأمريكية ٢١١ مليوناً، إندونيسيا ١٤٠ مليوناً، البرازيل واليابان ١١٠ ملايين لكل منهما، ووفقاً للأرقام التي نشرها صندوق السكان التابع للأمم المتحدة عام ١٩٨٠م، فسوف تكون في عام ٢٠٠٠م خمسون مدينة يزيد عدد سكان كل منها على ٥ ملايين، وسيبلغ عدد سكان العالم ٨٠% من المجموع الكلي لسكان العالم. ووفقاً لما يقوله جوستين بلاكولدر رئيس مكتب الإحصاء، فإن عدد سكان العالم لن يبلغ ٦ بلايين بسبب الجوع.

(٢) قام اثنان من العلماء المختصين في الدراسات السوفييتية وهما: جوزيف دي دوجلاس وأموريا أم هويبر بتلخيص جيد للسياسة النووية السوفييتية في كتاب بعنوان «الاستراتيجية للحرب النووية « Atanford Co for Hoover Onst, Press. ١٩٧٩ Soviet Strategy for Nuclear War». وفي الاتحاد السوفييتي تنشر عشرات بل مئات المقالات والكتب سنوياً تتعرض بالتفصيل للمبدأ السوفييتي حول الحرب النووية. وهناك الكثير من الوثائق التي ترجمت إلى الإنجليزية، ونشرتها القوات المسلحة الجوية الأمريكية، من بينها «النظرة الماركسية اللينينية للحرب والجيش: وجهة النظر السوفييتية» :USAF Marxiani Leninisin On War and the Army: The Soviet View Moscow, ١٩٧٧، وكذلك «القوات المسلحة في الدولة السوفييتية»، The Armed Forces of the Soviet State. Moscow ١٩٧٥.. by Marshal A. Geeh، والمنهج الأساسي في تناول هذا الموضوع ظهر في كتاب بقلم المارشال «سوكولوفسكي» نشر في موسكو عام ١٩٦٢م، بعنوان«الاستراتيجية

العسكرية: المبدأ والمفاهيم السوفييتية» Marshal V...D Sokolovski New ..York, ١٩٦٣ Military Strategy.. Soviet Doctrine and Concepts

(٣) يمكن استخلاص صورة للنوايا السوفييتية بالنسبة لمختلف أنحاء العالم من كتاب دوجلاس وهويبر المشار إليه أعلاه، ولمزيد من المعلومات انظر مايكل مورجان: «معادن اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية كسلاح استراتيجية في المستقبل»، « USSR's Morgan Defense and Strategic Weapon in" .«Foreign Affairs, Washington, D..C.. Dec. ١٩٧٩ the Future

(٤) أميرال الأسطول سيرجي غورشكوف: «القوة البحرية والدولة»، Admiral of the Fleet Sergi London, ١٩٧٩, Moran, Ioc. Cit. والجنرال جورج إس براون «بيان للكونجرس عن الوضع الدفاعي للولايات المتحدة الأمريكية في السنة المالية ١٩٧٩م»، صفحة ١٠٣ -A Statement,General (USAF) C JCS, to he Congres on the George S.. Brown Defense Posture if the United States for the Fisca Year, ١٩٧٩- P١٠٣ مجلس الأمن القومي مراجعة لسياسة المعادن غير الوقودية (واشنطن، العاصمة، ١٩٧٩م) "Rcriew of Non Fuel" "National Security Council Po" ودور ميدلتون في صحيفة النيويورك تايمز (١٩٧٩/٩/١٥م)، ومجلة التايمز (١٩٨٠/٩/٢١م).

(٥) يقول إسحق رابين رئيس الوزراء الأسبق في «بنكاس شيروت»: «إن الحكومة الإسرائيلية هي في الواقع المسؤولة عن تصميم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بعد يونيو حزيران ١٩٦٧م، بسبب عدم حسمها فيما يتعلق بمستقبل المناطق (المحتلة) وعدم ثبات موقفها منذ وضعت الخلفية اللازمة للقرار رقم ٢٤٢، وكذلك بكل تأكيد بالنسبة لاتفاقيات كامب ديفيد، ومعاهدة السلام مع مصر بعد ذلك باثني عشر عاماً، ووفقاً لما يقوله رابين فقد أرسل الرئيس جونسون في ١٩ يونيو/ حزيران عام ١٩٦٧م، رسالة إلى رئيس وزراء إسرائيل ليفي أشكول لم يذكر فيها أي شيء عن الانسحاب من المناطق الجديدة، ولكن في ذلك اليوم

تماماً قررت الحكومة إرجاع المناطق مقابل السلام، وبعد القرارات في مؤتمر الخرطوم (١٩٦٧/٩/١م) غيرت الحكومة الإسرائيلية من موقفها، ولكن على النقيض من قرارها في ١٩ يونيو/ حزيران لم تخطر الولايات المتحدة الأمريكية بهذا التغيير، واستمرت الولايات المتحدة الأمريكية في تأييد القرار رقم ٢٤٢ في مجلس الأمن على أساس فهمها ان إسرائيل على استعداد للانسحاب من المناطق، وعند هذا الحد أصبح الوقت متأخراً جداً لتغيير موقف الولايات المتحدة الأمريكية وسياسة إسرائيل، ومن هنا فقد أصبح الطريق مفتوحاً أمام اتفاقيات السلام على أساس القرار رقم ٢٤٢، كما اتفق على ذلك فيما بعد في كامب ديفيد.. انظر إسحق رابين، بنكاس شيروت (معاريف ١٩٧٩م) صفحة ٢٢٦-٢٢٧. Pinkas «(Ma'ariv, ١٩٧٩)٢٢٦-٢٢٧.

(٦) في مقابلة (معاريف ١٩٨٠/١٠/٣م) مع رئيس اللجنة والدفاع البروفيسور موشي أرينز عن رأيه أن الحكومة الإسرائيلية في إعداد خطة اقتصادية قبل اتفاقيات كامب ديفيد وأنها نفسها قد فوجئت بالثمن الذي ينبغي عليها دفعه لهذه الاتفاقيات، على الرغم من أنه كان من الممكن في أثناء المفاوضات حساب الثمن الفادح والخطأ الخطير اللذين ينطوي عليهما عدم إعداد الأرضية الاقتصادية للسلام وقد أقر وزير الخزانة الإسرائيلية السابق «ييجال هوروفيتز»: أنه لولا الانسحاب من حقول النفط لكان لدى إسرائيل ميزان مدفوعات إيجابي (١٩٨٠/٩/١٧م)، وهذا الشخص ذاته قال قبل ذلك بعامين: إن الحكومة الإسرائيلية (التي انسحب منها) قد وضعت حبلاً حول عنقه، وكان يشير بذلك إلى اتفاقيات كامب ديفيد (ها آرتس ١٩٧٩/١/٥م). وطول مدة مفاوضات السلام بأكملها لم يستشر أي خبير أو مستشار اقتصادي. كما أن رئيس الوزراء نفسه وهو الذي تنقصه المعرفة والخبرة بالشؤون الاقتصادية قام بمبادرة خاطئة منه بالطلب إلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنحنا قرضاً وليس منحة، وذلك بسبب رغبته في المحافظة على احترامنا، واحترام الولايات المتحدة الأمريكية لنا. انظر ها آرتس (١٩٧٩/١/٥م) وجيروسالم بوست (١٩٧٩/٩/٧م)، أما بالنسبة للأمور المتعلقة بحقول النفط وأزمة الطاقة في إسرائيل، انظر المقابلة التي جرت مع إيتان آيزنبرج وهو

مستشار حكومي في هذه الأمور (معاريف الأسبوعية ١٩٧٨/١٢/١٢م). أما وزير الطاقة الذي وقع بنفسه على اتفاقيات كامب ديفيد وإخلاء حقل علماء فقد أكد منذ ذلك الوقت خطورة وضعنا بالنسبة للإمدادات النفطية غير مرة. انظر يديعوت أحرونوت (١٩٧٩/٩/٢٠م). بل إن وزير الطاقة موداي اعترف بأن الحكومة لم تستشره إطلاقاً حول موضوع آبار النفط في أثناء المفاوضات في كامب ديفيد وبلير هاوس، ها آرتس (١٩٧٩/٨/١٢م).

(٧) تكتب الكثير من المراجع تقارير عن نمو ميزانية التسلح في مصر، وعن النوايا الرامية إلى إعطاء الجيش أفضلية في ميزانية حقبة السلام على الاحتياجات المحلية والتي يزعم أن السلام جاء من أجلها. انظر رئيس الوزراء الأسبق ممدوح سالم في مقابلة بتاريخ ١٩٧٧/١٢/١٨م، ووزير الخزانة عبد الحميد السايح في مقابلة بتاريخ ١٩٧٨/٧/٢٥م، وجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٨/١٢/٢م، التي من الواضح أنها تؤكد أن الميزانية العسكرية ستُعطى الأفضلية الأولى – على الرغم من السلام- وهذا ما أقره رئيس الوزراء الأسبق مصطفى خليل في وثيقة برنامج وزارته الذي قدم للبرلمان في ١٩٧٨/١١/٢٥م. انظر الترجمة الإنجليزية في ((KCA.. FGIS NOV. ٢٧, ١٩٧٨.. DI-١٠)). ووفقاً لهذه المصادر فإن ميزانية مصر العسكرية قد ازدادت بنسبة ١٠% بين السنتين الماليتين ١٩٧٧م، والعملية لازالت مستمرة.

(٨) معظم التقديرات الاقتصادية تشكك في قدرة مصر على إعادة بناء اقتصادها بحلول عام ١٩٨٢م. انظر « Economic Intelligence Unit The Shiloh Institution Occasional Papers» عام ١٩٧٨م، الملحق (جمهورية مصر العربية)/ واي كانوفسكي في «التطورات الاقتصادية الحديثة في الشرق الأوسط» يونيو / حزيران ١٩٧٧م، وكانوفسكي في «الاقتصاد المصري منذ منتصف الستينات» (Occasional Paper) يونيو/ حزيران ١٩٧٧م، وروبرت مكنمارا رئيس البنك الدولي كما أوردته جريدة التايمز اللندنية في (١٩٧٨/١/٢٤م).

(٩) انظر المقارنة التي عقدها البحث الذي أعده معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن، والبحث الذي أعده مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب، كذلك البحث الذي قام به العالم البريطاني دينيس شامبلن ونشر في عام ١٩٦٩م (Military Revew New, ١٩٠٩)، ومعهد الدراسات الاستراتيجية «الميزان العسكري ١٩٧٩م – ١٩٨٠م» ومركز الدراسات الاستراتيجية «الترتيبات الأمنية في سيناء» للبريجادير جنرال (احتياط) أي شالوف رقم (٣٠٠) لمركز الدراسات الاستراتيجية، وكذلك «الميزان العسكري والخيارات العسكرية بعد معاهدة السلام مع مصر» للبريجادير جنرال (احتياط) يا رافيف رقم (٤). ديسمبر /كانون ثاني ١٩٧٨م، وكذلك العديد من التقارير الصحفية بما فيها مجلة «الحوادث» الصادرة في لندن بتاريخ ١٩٨٠/٢/٧م، ومجلة «الوطن العربي» الصادرة في باريس بتاريخ ١٩٨٩/١٢/١٤م.

(١٠) أما بالنسبة للغليان الديني في مصر والعلاقات بين الأقباط والمسلمين. انظر سلسلة المقالات التي نشرتها جريدة «القبس» الكويتية في ١٩٨٠/٩/١٥م، والكاتب الإنجليزي إيرين بيسون كتب عن الانشقاق بين المسلمين والأقباط. انظر إيرين بيسون في «الجارديان» اللندنية في ١٩٨٠/٦/٢٥م. وللإطلاع على تقارير أخرى، انظر باميلا إن سميث في «الجارديان» اللندنية في ١٩٩٠/١٢/٢٤م، و«كريستان ساينس مونيتور» في ١٩٧٩/١٢/٢٧م، وكذلك «الدستور» اللندنية في ١٩٧٩/١٠/١٥م، و«الكفاح العربي» في ١٩٧٩/١٠/١٥م.

(١١) «آراب برس سيرفس» بيروت في ٦-١٩٨٠/٨/١٣م، «ذي نيو ربيليك» في ١٩٨٠/٨/١٦م. «دير شبيجل» كما وردت في «ها آرتس» في ١٩٨٠/٣/٢١م و٤/٣٠ – ١٩٨٠/٥/٥م، «الإيكونومست» في ١٩٨٠/٢/٢٢م، «روبرت فيسك» في «التايمز» اللندنية في ١٩٨٠/٣/٢٦م، أبلز ورث في «الصنداي تايمز» في ١٩٨٠/٣/٣٠م.

(١٢) جي بي بيرونسيل هوجوز، «اللوموند» الباريسية في ١٩٨٠/٤/٢٨م، الدكتور عباس كليدار، «ميدل إيست يفيو» صيف ١٩٧٩م، معهد الدراسات الاستراتيجية:

«دراسات الصرع»، يوليو / تموز ١٩٧٥م، أندرياس كولستشر. دير زايت (ها آرتس ١٩٧٩/٩/٢١م) «إيكونومست فورين ريبورت» في ١٩٧٩/١٠/١٠م. و«أفرو إيشياين أفيرز» لندن يوليو/ تموز ١٩٧٩م.

(١٣) آرنولد هوتنجر، «الدول العربية الغنية في مأزق». «نيويورك تايمز ريفيو أوف بوكس» في ١٩٨٠/٥/١٠م. و«آراب برس سيرفس». بيروت في ٢٥/٦-١٩٨٠/٧/٢م. «يو إس نيوز آند ورلد ريبورت» في ١٩٧٩/١١/٥م. وكذلك «الأهرام» في ١٩٧٩/١١/٩م. «النهار العربي والدولي» - باريس في ١٩٧٩/٩/٧م، و«الحوادث» في ١٩٧٩/١١/٩م. وديفيد حاخام «منثلي ريفيو» أ.د.ف في يناير / كانون ثاني – فبراير – شباط ١٩٧٩م.

(١٤) ما يخص السياسات الأردنية ومشكلاتها. انظر «النهار العربي والدولي» في ١٩٧٩/٤/٣٠م و١٩٧٩/٧/٢م. و«البروفيسور لإيلي كيدوري»، معاريف في ١٩٧٩/٦/٨م. والبروفيسور تانتر، «دافار» في ١٩٧٩/٧/١٢م. وأ. صفدي، «جيروسليم بوست» في ١٩٧٩/٥/٣١م، «الوطن العربي» في ١٩٧٩/١١/١٢م. و«القبس» في ١٩٧٩/١١/١٩م. أما ما يخص موقف منظمة التحرير الفلسطينية، انظر قرارات مؤتمر فتح الرابع. دمشق في أغسطس / آب ١٩٨٠م. أما برنامج شفا عمرو للعرب الإسرائيليين في نشر في «ها آرتس» في ١٩٨٠/٩/٢٩م. ومن قبل «آراب برس ريبورت» في ١٩٨٠/٦/١٨م. ولمعرفة الأرقام والحقائق عن هجرة العرب إلى الأردن. انظر أموس بن فيريد، «ها آرتس» ١٩٧٧/١٢/١٦م. «يوسف زوريبل» - «معاريف» ١٩٨٠/١/١٢م. أما موقف منظمة التحرير الفلسطينية من إسرائيل. انظر شلومو غازيت، «ممثلي ريفيو»، في يوليو/ تموز ١٩٨٠م. و«هاني الحسن» في مقابلة مع صحيفة «الرأي العام» الكويتية في ١٩٨٠/٤/١٥م. وآفي بلاسكوف «المشكلة الفلسطينية» البقاء «معهد الدراسات الاستراتيجية». لندن في ينايو / كانون ثاني – فبراير/ شباط ١٩٧٨م. ديفيد جدوثمان «الخرافة الفلسطينية»، أكتوبر / تشرين أول ١٩٧٥م. بيرنارد لويس: «الفلسطينيون ومنظمة التحرير الفلسطينية»، «كومنتري» في ينايو / كانون

الثاني ١٩٧٥م، و«مندي مورننج» البيروتية ١٨-١٩٨٠/٨/٢١م ومجلة «دراسات فلسطينية» (Journal of Palastine Studies) شتاء ١٩٨٠م.

(١٥) البروفيسور يوفال نيمان ساماريا «الأساس في أمن إسرائيل» «معراخوت» ٢٧٢-٢٧٣ في مايو / يونيو ١٩٨٠م. يعكوف هاسداي «السلام السبيل والحق الذي ينبغي معرفتهما»، دافار هاشافوا في ١٩٨٠/٢/٢٣م. وآهرون ياريف «العمق الاستراتيجي – وجهة نظر إسرائيلية»، «معراخوت» ٢٧٠-٢٧١ في أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٩م، و«إسحق رابين»، (مشاكل إسرائيل الدفاعية في الثمانينات) معراخوت في أكتوبر / تشرين أول ١٩٧٩م.

(١٦) عزرا زوهار، «في كماشة النظام الحاكم»، «شيكمونا»، ١٩٧٤م، موتي منريتش «هل لدينا إسرائيل بمحض المصادفة، الحقيقة والأسطورة» - «ريتشافيم» ١٩٨١م.

(١٧) «هنري كيسنجر»، «دروس الماضي»، «ذي واستجتون ريفيو»، المجلد الأول، في ناير / كانون ثاني ١٩٧٨م. آرثر روس «تحدي أوبك الغرب»، «ذي واشنجتون كوارترلي» في شتاء ١٩٨٠م. والتر ليفي «البترول وانحطاط الغرب». «فورين أفيرز». في صيف ١٩٨٠م. تقرير خاص «قواتنا المسلحة هل هي جاهزة أم لا؟»، «يو إس نيوز آند ورلد ريبوت» في ١٩٧٧/١٠/١٠م. ستانلي سوفيان «تأملات حول الخطر الماثل»، ذي نيويورك ريفيو أوف بوكسب»، في ١٩٨٠/٧/٧م. ليومند لافندي «أوهام محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية»، «كومنتري»، في سبتمبر / أيلول ١٩٧٩م. «ورمان يود هوريتز»، «الخطر الماثل»، «كومنتري» في سبتمبر / أيلول ١٩٧٩م. «ورمان بودهوريتز»، «التخلي عن إسرائيل» «كومنري»، في يوليو/ تموز ١٩٧٦م. إيلي «قراءة خاطئة للشرق الأوسط»، كومنتري، في يوليو / تموز ١٩٧٩م.

(١٨) وفقاً لأرقام نشرها ياكوف كاررز، يديعوت أحرونوت، في ١٩٨٠/١٠/١٧م. فإن المجموع الكلي للحوادث اللاسامية التي سجلت في العالم عام ١٩٧٩م. كانت ضعف تلك التي سجلت في عام ١٩٧٨م. وفي ألمانيا وفرنسا وبريطانيا كان عدد

الحوادث ضد السامية أضعافاً مضاعفة في تلك السنة. وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية كانت هناك زيادة حادة في الحوادث ضد اللاسامية، والتي ورد ذكرها في المقالة المذكورة. أما بالنسبة للاسامية الجديدة، انظر ل. تاليموت «اللاسامية الجديدة»، «ذي نيو ريبيلك» في ١٩٧٦/٩/١٨م. باربارا نتشمان «لقد قاموا بتسميم الآبار» «نيوزويك» في ١٩٧٥/٢/٣م.

(١) المقصود بقوات حداد، قوات الرائد المنشق عن الجيش اللبناني والمسمى الرائد سعد حداد، الذي أنشأ قوات عميلة للكيان الإسرائيلي، مهمتها حفظ الأمن على الحدود الشمالية للكيان الإسرائيلي.

(٢) روابط القرى هي تعبير عن القوات الدرزية المتعاملة مع إسرائيل ضمن الكيان الإسرائيلي.

(٣) لا نعتقد أن الكتائب اللبنانية ليس لها بنية إقطاعية أو حزبية، بل هي حزب تم تأسيسه في منتصف ثلاثينيات القرن الماضي، أسسها «بيار الجميل» أحد أمراء الحرب الأهلية اللبنانية، والتي تعاونت مع إسرائيل في نهاية سبعينيات القرن الماضي / من خلال ما سمي «القوات اللبنانية» برئاسة «بشير الجميل» ابن «بيار»، للمزيد راجع كتاب: «كرة الثلج» لـ «شيمون شيفر». المؤلف.

(١) ظهرت في العصور الوسطى جماعات تكفر الناس وتقضي على الحريات من خلال التفتيش، وهي ممارسات تحت شعار الإكليروس والرهبانية وبيع صكوك الغفران.

المصادر والمراجع

(١) اللاورني، سعيد: الشرق الأوسط الكبير، مؤامرة أمريكية ضد العرب.

(٢) أبو الغار، محمد: يهود مصر من الازدهار إلى الشتات.

(٣) بوش، الجد: محمد، مؤسس الدولة الإسلامية، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ.

(٤) بيريز، شيمون: الشرق الأوسط الجديد.

(٥) حافظ: د. صلاح الدين: تزييف الوعي «أسلحة التضليل الشامل..

(٦) حمدان: د. جمال حمدان : اليهود.

(٧) حيدر: د. محمود: الدولة المستباحة، من نهاية التاريخ إلى بداية الجغرافية.

(٨) سولوكوفسكي، غي : صورة المسلم العدائية.

(٩) شاكر، د. محمود : ثقافتنا في مواجهة العصر.

(١٠) طعيمة، عبد الرحمن: الماسونية والصهيونية والشيوعية، غاية وهدفاً.

(١١) عبد الرحمن، د. عواطف: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث.

(١٢) عزت، د. عزة: صوت العرب في الغرب.

(١٣) عوض، د. رمسيس: الهولوكوست بين الإنكار والتأييد.

(١٤) غارودي، روجيه: تيودور هرتزل، الدولة الصهيونية.

(١٥) قاسم، د. قاسم عبده: القراءة الصهيونية للتاريخ، الحروب الصليبية نموذجاً.

(١٦) ليفي، أوسكار : الصهيونية.

(١٧) مسيري، عبد الوهاب: التجانس اليهودي والشخصية اليهودية .

(١٨) مصمودي، د. مصطفى: النظام الإعلامي الجديد.

(١٩) منسي، سعاد: بروتوكولات حكماء صهيون.

(٢٠) مودزير، كورت: نحن صهيونيون.

(٢١) هرتزل، تيودور: الدولة الصهيونية.

(٢٢) هوجارث، ديفيد جورج: بلاد العرب، ترجمة: د. صبري حسن.

(٢٣) هيرش، سيمور: الخيار شمشون. ترجمة: د. حسن صبري.

(٢٤) المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان: الكتاب الأسود، المجازر الصهيونية في القرن العشرين.

المحتـــوى



المؤلف في سطور

دكتوراه في الإعلام من الولايات المتحدة الأمريكية

وكيل أسبق لوزارة الإعلام السعودية

حائز وسام الملك عبد العزيز من المرتبة الأولى

عمل رئيساً للجان الإعلامية التابعة لوزارة الإعلام من مثل :

اللجنة الإعلامية لمعارض المملكة، ومعارض الحرمين الشريفين،

و اللجنة الإعلامية العسكرية في حرب الخليج

و أولمبياد لوس أنجلوس . ولجنة التوعية الصحية للحج

عمل ردحاً طويلاً من الزمن أستاذاً في الإعلام في جامعة الملك عبد الع

حاز عدداً من الجوائز الدولية

رئيس مجلس إدارة مؤسسات شهاب حجوم

رئيس مجلس إدارة MCG مؤسسة متخصصة في الإعلام

رئيس مجلس إدارة قناة SPACE TOON

عضو مؤسس وشريك ونائب رئيس مجلس إدارة كلية إدارة الأعمال CBA